في
التنوير الإسلامي
« ٢٦ »

الحملة الفرنسية في الميزان

تأليف :

د. محمد عمارة

في التنوير الإسلامي ٢٦

الحملة الفرنسية في الميزان

تأليف :

د. محمد عمارة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

اسم الكتاب:	الحملة الفرنسية فى الميزان
اسم المؤلف:	د / محمد عمارة
تاريخ النشر:	ديسمبر ١٩٩٨م . (طبعة أولى)
رقم الإيداع:	١٦٧٤٣ / ١٩٩٨م .
الترقيم الدولى:	I . S . B . N 977 - 14 - 0887 - 9
الناشر:	دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
المركز الرئيسى:	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة مدينة السادس من أكتوبر ت: ٣٢٠٢٨٧ / ٠١١ . (١٠ خطوط) فاكس: ٠١١/٣٢٠٢٩٦ .
مركز التوزيع:	١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥ . فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص.ب: ٩٦ الفجالة
إدارة النشر:	٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ص.ب: ٢٠ إمبابة .

تمهيد

في «الوطنية» - كما في «الدين» - هناك أمور «معلومة بالضرورة» ، لا تختلف فيها ولا عليها بصائر ذوى التمييز من العقلاء .. ذلك لأن الوطنية الصحيحة ، مثلها كمثل التدين الصحيح فطرة فطر الله الناس عليها .. وعن الفطرة الدينية حدثنا القرآن الكريم عندما قال : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾[1] .. وعن فطرة الوطنية علمنا رسول الله - ﷺ - حبه لوطنه مكة - حتى وهي على الشرك ، الذي حاصر دعوته ، واضطهد المؤمنين بها ، بل واستفز هؤلاء المؤمنين ليخرجهم من وطنهم - فقال - ﷺ - يناجي هذا الوطن - مكة - في خطة الفراق ، يوم الهجرة : «والله إني أعلم أنك أحب البلاد إلى الله ، وأحب البلاد إلى نفسي ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت ..!..

ومع مطلع عصرنا الحديث ، ظهرت طلائع الأناشيد الوطنية ، التي نظمها علماء الإسلام ، فتحدثت عن فطرة الوطنية .. ومنها ما نظمه الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي (١٢١٦ - ١٢٩٠هـ ١٨٠١ - ١٨٧٣م) عندما قال :

---

(١) الروم : ٣٠ .

من أصل الفطرة للفطن بعد المولى حبُّ الوطن
هبةٌ مَنَّ الوهابُ بها فالحمدُ لوهّاب المِنَن[1]

ومن فطرة الوطنية - التى اتفق عليها العقلاء ، من كل الشعوب وجميع الحضارات ومختلف الديانات ، على مر الأزمان ، الفرح بالانتصارات الوطنية - والاحتفال بها ، وإحياء ذكرياتها - والحزن بالهزائم والانتكاسات ، والاعتبار بها . . . والمسلمون لا يزالون يحتفلون حتى اليوم بانتصارات الدولة الإسلامية الأولى يوم بدر (٢هـ ٦٢٤م) وبفتح مكة (٨ هـ ٦٣٠م) وبانتصارات القادسية (١٥هـ ٦٣٦م) واليرموك (١٥هـ ٦٣٦م) والإسكندرية (٢٠ هـ ٦٤١م) وحطين (٥٨٣هـ ١١٨٧م) وعين جالوت (٦٥٨هـ ١٢٦٠م) والقسطنطينية (٨٥٧هـ ١٤٥٣م) والعاشر من رمضان ١٣٩٣هـ السادس من أكتوبر ١٩٧٣م . .

فالاحتفالات الوطنية إنما تكون بالانتصارات ، لا بالهزائم والانتكاسات . .

وهذه الفطرة الوطنية السوية ليست خصيصة إسلامية ولا شرقية . . وإنما هى فطرة إنسانية . . فالفرنسيون لا يزالون يحتفلون بتراجع مسلمى الأندلس فى موقعة «بواتييه» - بلاط الشهداء - (١١٤هـ ٧٣٢م) . . والنمساويون لا يزالون يحتفلون بتراجع الجيش العثمانى عن أسوار «فينا» (١٠٩٤ هـ ١٦٨٣م) . . بل لقد أقام الغرب الدورة الأولمبية - فى «برشلونة» سنة ١٩٩٢م احتفالا بانتصار الأسبان على المسلمين فى الأندلس ، وإسقاط «غرناطة» (٨٩٧هـ ١٤٩٢م) قبل خمسمائة عام !! . .

---

(١) رفاعة الطهطاوى (الأعمال الكاملة) جـ ٥ ص ٢٧٨ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٨١ م .

وكذلك الحال عند الصهيانية ، الذين بلغوا فى الشذوذ عن الفطرة السوية حتى ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾[1] نراهم يبكون على هدم المعبد - ولا يحتفلون به - وإنما يحتفلون بانتصارهم على العرب ، وإقامة دولتهم سنة ١٩٤٨ م ..

والهنود ، الذين تتلمذوا - بقيادة قديسهم غاندى (١٨٩٦ - ١٩٤٨م)- على الثورة المصرية التى قادها سعد زغلول (١٢٧٣ - ١٣٤٦هـ ١٨٥٧ - ١٩٢٧م) فى سنة ١٩١٩م .. لم يشذوا - رغم تقديسهم للبقر - عن هذه الفطرة الوطنية السوية ، فاحتفلوا سنة ١٩٩٧م بالعيد الخمسين للاستقلال عن بريطانيا .. ولم يحتفلوا بذكرى الاحتلال الإنجليزى لبلادهم ، رغم أنهم قد أخذوا عن هذا الاستعمار : اللغة .. والقومية .. والعلمانية .. والكثير من الآداب والفنون والعلوم .. بل لقد بلغوا - إبان احتفالاتهم بذكرى الاستقلال - إلى الحد الذى اشترطوا فيه على ملكة إنجلترا - وهى تحضر احتفالاتهم - أن تعتذر - رسميا - لشعب مدينة «أمرستار» المقدسة لديهم ، عن المذبحة التى ارتكبها الجيش الإنجليزى الاستعمارى فى هذه المدينة سنة ١٩١٩م ، إذا أرادت الملكة أن تزور «أمرستار» ! ..

تلك هى الفطرة التى فطر الله عليها الناس - الأسوياء - فى «الوطنية» .. كما فطرهم ، سبحانه ، عليها فى «الدين» ..

---

(١) البقرة : ٩٣ .

قمة الشذوذ

لذلك .. يصبح الشذوذ عن هذه الفطرة الإنسانية فى الوطنية شيئا غريبا .. بل وشذوذا غير مسبوق فى تاريخ الوطنية بإطلاق .. وانقلابا على السلوك الإنسانى الذى تعارفت عليه وأجمعت القبائل والأمم والشعوب .. فلا أحد يحتفل بذكرى اقتحام اللص لمنزله ، أو اغتصاب أرضه ، أو انتهاك عرضه ، أو سلب سيادته على وطنه .. اللهم إلا هذا النفر من شواذ المثقفين الفرانكفونيين - بمصر - الذين ساروا فى الركاب الفرنسى ، وقرروا الاحتفال - على امتداد عامين - بمائتى عام على حملة نابليون بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م) ! . محاولين ستر هذا العوار والشذوذ بادعاء أنهم إنما يحتفلون بالعلاقات الثقافية مع فرنسا ، وليس بالغزوة الاستعمارية .. يحتفلون بالمطبعة والمجمع العلمى وليس بالمدفع والبارود ! .. ولو صدقوا فى هذا الادعاء، لكان احتفالهم مبادرة ذاتية منهم، بدلا من أن يأتى استجابة ذليلة لأحفاد الغازى نابليون .. ولو كان لادعائهم ظل من الحقيقة لجعلوا هذا الاحتفال فى ذكرى الجلاء الفرنسى عن مصر سنة ١٨٠١م - كما صنع ويصنع كل البشر - حتى الذين أشربوا فى قلوبهم العجل، والذين يقدسون البقر! أو لجعلوا الاحتفال فى ذكرى فك العالم الفرنسى «شمبليون» (١٧٩٠ - ١٨٣٢م) الرموز اللغوية فى «حجر رشيد» (١٢٤٢هـ ١٨٢٧م) .. أو مثل هذه المناسبات الثقافية «الفرنسية - المصرية»، بدلا من أن يجعلوا شهر يوليو سنة ١٩٩٨م - وهو شهر بداية الاحتلال الفرنسى لمصر سنة ١٧٩٨م -

بداية هذه الاحتفالات، التي أرادها الفرنسيون - ومعهم شواذ الفرانكفونيين المصريين - لمدة عامين، التي هي مدة الاحتلال!!..

بل إن شذوذ هذه الاحتفالات - والقائمين بها - عن «المعلوم من الوطنية بالضرورة» ليتزايد إذا نحن علمنا أن هذا الاستعمار الفرنسي - الذي يحتفلون به - ليس استعمارا عاديا - كسواه من ألوان البلاء الاستعماري، الذي ابتليت به كثير من الشعوب، وإنما هو قمة البلاء الاستعماري، لأن الاستعمار الفرنسي على وجه الخصوص لم يكتف - عادة - بما اكتفى به كثير من المستعمرين، من احتلال الأرض، ونهب الثروة، وسلب الحرية، وإذلال الكرامة.. وإنما تجاوز المستعمرون الفرنسيون - عادة - هذه المقاصد الاستعمارية إلى حيث ذهبوا لمحو الهوية الدينية واللغوية للشعوب التي ابتليت باستعمارهم، فتعدى استعمارهم نطاق «الإمبريالية» إلى نطاق القتل والإبادة لتميز الشعوب المستعمرة عن فرنسا.. لقد أرادوه قهرا ومحوا «للذات»، وليس فقط اغتصابا «للإمكانات»!..

بل لقد يدهش الذين لا يقلبون صفحات التاريخ القديم إذا هم علموا أن الاستعمار الفرنسي قد مثل بالنسبة لمصر ووطن العروبة وعالم السلام أقدم موجات الاستعمار الأوربي، وليس فقط أقسى وأخطر وأسوأ هذه الموجات!..

● فحملات الغزوات الصليبية - التي استمرت على بلادنا العربية قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م) والتي مثلت - بما أقامت في بلادنا من استعمار استيطاني، وممالك وإمارات وقلاع وحصون، وتهديد لمقدسات الإسلام في الحرمين المكي والنبوي، فضلا عن اغتصاب الأقصى وتحويله إلى كنيسة، واحتلال القدس الشريف.. إلخ - هذه الحملات الصليبية بدأت مشروعا استعماريا فرنسيا!..

فمن جنوبى فرنسا - بمدينة «كلير مونت» بدأت هذه الغزوة ، عندما دعا البابا الذهبى «إربان الثانى» (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) أمراء الإقطاع وفرسانهم ، وخطب فيهم - داعيا إلى أن يتخذوا الإسلام والشرق عدوا يوجهون إليهما طاقاتهم وغرائزهم العدوانية ، بدلا من توجيهها فى صراعاتهم الداخلية !! - فقال لهم :

«أنتم فرسان أقوياء ، ولكنكم تتناطحون وتتنابذون فيما بينكم - ولكن ، تعالوا وحاربوا الكفار - (أى المسلمين) !!- .. يامن تنابذتم اتحدوا .. يامن كنتم لصوصا كونوا الآن جنودا .. تقدموا إلى بيت المقدس .. انتزعوا تلك الأرض الطاهرة ، واحفظوها لأنفسكم ، فهى تدر سمنا وعسلا ! . إنكم إذا انتصرتم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق[1]» !

فمن فرنسا بدأ أول مشروع أوربى لتوحيد حتى اللصوص لمواجهة الإسلام والمسلمين ، ووراثة ممالك الشرق ، التى «تدر سمنا وعسلا» ! . .

وعندما اقتحمت هذه الغزوة - التى انطلقت من فرنسا - مدينة القدس (٤٩٢هـ ١٠٩٩م) أبادت من بها من المسلمين ، حتى الذين احتموا ببيوت الله ، سفكوا دماءهم ، حتى لقد سبحت خيول الصليبيين بدماء الأبرياء فى مسجد عمر بن الخطاب - مسجد قبة الصخرة - . . وكتب هؤلاء البرابرة - أحفاد نابليون بونابرت - إلى البابا الذهبى - فى فرنسا - يفاخرون بما صنعوا ، فقالوا : «إذا أردت أن تعرف ما يجرى لأعدائنا ، فثق أنه - فى جامع عمر - كانت خيولنا تغوص إلى ركبها فى بحر دماء الشرقيين[2]» ..

---

(١) د . محمد عمارة (معارك العرب ضد الغزاة) ص ٣٥ طبعة دمشق سنة ١٩٨٨م .
(٢) المرجع السابق . ص ٣٩ .

وبكلمات شاهد عيان - فى مصدر نصرانى - «**فلقد استوعب المسجد من الدم المحتقن فيه كفى بحر متموّج**[1]»!

● ومن بين الحملات الصليبية - التى انطلقت من فرنسا - بقيادة أمرائها وملوكها - تميزت حملات وحروب الملك - القديس - لويس التاسع (١٢١٤ - ١٢٧٠م) . . وكان لويس التاسع هو مكتشف المنهاج الذى سار عليه نابليون بحملته على مصر ! . . المنهاج الذى يرى أن مصر هى بوابة الشرق ، وطريق القدس الشريف . . **فاحتلال مصر هو الشرط لاستعادة القدس - التى سبق أن حررها من الاستعمار الصليبى صلاح الدين الأيوبى** (٥٣٢ - ٥٨٩هـ ١١٣٧ - ١١٩٣م) - ولقد عبر المؤرخ «ابن واصل» (٦٠٤ - ٦٩٧هـ ١٢٠٨ - ١٢٩٨م) فى كتابه (مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب) عن هذا المنهاج - الذى سلكه لويس التاسع . . ومن بعده نابليون - فقال عن القديس لويس : «إنه كان متدينا بدين النصرانية ، مرتبطا به . . **فحدثته نفسه أن يستعيد البيت المقدس إلى الفرنج . وعلم أن ذلك لا يتم له إلا بملك الديار المصرية**[2]»!

وعندما نقرأ الإنذار الذى وجهه القديس لويس التاسع إلى الملك الأيوبى الصالح نجم الدين أيوب (٦٠٣ - ٦٤٧هـ ١٢٠٦ - ١٢٤٩م) نجد الحقائق الكاشفة عن دور فرنسا فى ذلك الصراع . . فهو يتحدث عن نفسه باعتباره ممثل النصرانية الغربية - «**امين الأمة العيسوية**» - . . ويكشف عن دور فرنسا فى الصراع ضد الإسلام ، لا فى الشرق فحسب ، وإنما فى الأندلس أيضا - فيقول :

(١) مكسيموس موتروند (تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق المدعوة حرب الصليبيين) جـ١ ص ٢٨٢ طبعة القدس سنة ١٨٦٥م .

(٢) (معارك العرب ضد الغزاة) ص ٩٦ ، ٩٧ .

«وإن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمّل النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ونخلي منهم الديار» [1] فحرب فرنسا ضد الإسلام كانت قائمة وشاملة في المشرق والمغرب على السواء.

● وإذا كانت حملة القديس لويس التاسع قد انكسرت على أرض «المنصورة» بدلتا بين مصر [illegible] بل ووقع «أمين الأمة العيسوية» أسيرا (٦٤٨هـ ١٢٥٠م) [illegible] فإن عهد هذا الملك وسنوات حملته الصليبية قد شهدت زيادة الاستعماري الفرنسي لتواكير الأحلاف غير المقدسة بين الاستعمار الغربي وبين الوثنية حتى الوثنية [illegible] إذا كانت المواجهة مع الإسلام والمسلمين [illegible] فعلى درب «يهود خيبر» [illegible] الذين تحالفوا مع مشركي مكة [illegible] عنده الأوثان ضد التوحيد الإسلامي ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا (١) أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا (٢)﴾ [2] على درب «يهود خيبر» سارت فرنسا، تمثله في «ألبانا إيلوسيت» الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤م) وفي القديس لويس التاسع، عندما سعى ألبانا إلى التحالف مع المغول الوثنيين ضد الإسلام والمسلمين، فأرسل (٦٤٣هـ ١٢٤٥م) إلى بلاط خاقان المغول في «قراقورم» بعثه أسمى أحد رجالاته - «جون ده بيانى كاربنى» - لإقناع المغول [illegible]

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٩

(٢) النساء: ٥١، ٥٢

كانوا يفكرون بغزو أوربا لإقناعهم بالتحالف مع الصليبيين، وتوجيه غزواتهم المدمرة إلى عالم الإسلام.

وتواصلت المفاوضات بين الطرفين سنة ١٢٥٢م، أي حتى بعد هزيمة الحملة الصليبية التاسعة على مصر، حتى تم التحالف اللامبدئي، فزحف المغول على بغداد فدمروها (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ثم دمروا بلاد المشرق، وهددوا الوجود الإسلامي في جملته، ولولا أن قيض الله لمصر هزيمتهم في «عين جالوت» (٦٥٨هـ/١٢٦٠م).

بل إن هزيمة لويس التاسع في مصر لم تنه أحلامه الصليبية الاستعمارية، فذهب على رأس حملة صليبية أخرى لغزو تونس، حيث هزم وقضى نحبه هناك (٦٦٩هـ/١٢٧٠م).

● وبعد نجاح البريطانيين عقب سقوط غرناطة في الالتفاف حول العالم الإسلامي، أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر، وعندما بدأت أوربا تفكر في ضرب قلب العالم الإسلامي مصر والوطن العربي، لم تجد أوربا يومئذ أفضل من فرنسا لتقود وتبدأ هذا الإنجاز الاستعماري، فالفيلسوف الألماني ليبنتز (٦٤٦-١٧١٦م) عندما كتب كتابه الذي وصف فيه واقع مصر الاقتصادي والعسكري والاجتماعي والديني سنة ٦٧٢م، تعرى وربا باستعمار مصر، وسمى هذا الكتاب المخطوط السري لغزو مصر، لم يتخذ هذا الفيلسوف منفذا لمشروعه الاستعماري أفضل من ملك فرنسا لويس الرابع عشر (٦٣٨-١٧١٥م)، فقدمه إليه، رغم ما كان يومئذ بين ألمانيا وفرنسا من

حملة نابليون على مصر

وإذا كانت مهمة هذه الصفحات تسبب حكاية وقائع الاحتلال العسكري الفرنسي لأرض مصر [illegible] وبدأ قام [illegible] بتحقيقه [illegible] ثلث مليون مصري - في وقت كان تعداد مصر لا يتجاوز ٢,٤٦٠,٠٠٠ نسمة [illegible] أي أنهم قد ضربوا رقماً قياسياً في «الإبادة» عندما قتلوا ٧١ بشعب مصري [illegible] لم يتجاوز السنوات الثلاث !!

وهدموا وأحرقوا «كثيراً من القرى» التي [illegible] حيث الاحتلال [illegible] من أحياء [illegible] في مقاومة [illegible] حتى [illegible] في الأزهر الشريف [illegible] وفي [illegible] من [illegible] الأمر الذي جعل [illegible] وهو [illegible] من مصر [illegible] وجعل [illegible] «كثيراً» ١١٥٣ - ٨٠٠ [illegible] مصرعه مصر [illegible] الذي خلف «كثيراً» وهو [illegible] «[illegible]» ١١٥٠ - ١١١٠ [illegible] للاحتماء بالإسلام، وأعلن إسلامه وسمى [illegible] «عبد الله» وبروح مصرية [illegible] «[illegible]» [illegible] هذه [illegible] التي جاءت بتحقيق أحلام الإسكندر الأكبر ٣٥٦ - ٣٢٣ ق م) والقديس لويس [illegible] ولويس الرابع عشر [illegible] «والأمة [illegible]» [illegible] مصر (١٢١٦هـ ١٨٠١م)

[illegible] كتب التاريخ [illegible] تقدمت تصبح إلى جانب الأقطار [illegible] خرجت الفكرة و [illegible] التي قصدت إليها هذه الحملة، نعرف ما لا نعرف [illegible] خرجت الفكر في هذه الحملة الاستعمارية كانت في [illegible] [illegible] [illegible] كانت خطرا من الدفع و [illegible]

● [illegible] يشكو اليوم على الشرق العربي الإسلامي [illegible] احترق العرب لأمة الوطني والقومي و [illegible] من خلال تعرت الأقطار [illegible] والسودان [illegible] ومحولات تكوين هذه الأقطار [illegible] وأوقف [illegible] على حكومات الوحدة، وفي [illegible] هذه [illegible] [illegible] [illegible]

و «فيلق» ثابت من النصارى الأروام، قاده «برطلمين بني الرومي» الذي اشتهر لدى العامة بـ «قرط الرمان»!

وكما يقول الجبرتي مؤرخ العصر وحجته فإن فيلق المعلم يعقوب قد ضم من شباب القبط بالصعيد نحو الألفين. وشارك هذا الفيلق مع الجيش الفرنسي الذي قاده «ديزيه» في «فتح صعيد مصر». وتدرج المعلم يعقوب في مراتب الجيش الفرنسي، فمنحه «كليبر» رتبة «كولونيل»، وأنعم عليه «مينو» برتبة «جنرال» في مارس سنة ١٨٠١م[1].

فكان هذا أول اختراق استعماري غرس لصفوف الوحدة الوطنية المصرية، ولقد تم على يد حملة نابليون.

● وفي «ديوان المشورة» الذي أقامه «بونابرت» جعل بهذه الأقليات غير المسلمة والتي لا يتعدى نسبتها العددية مجموع السكان ٥٪ نصف عضوية الديوان العام والخاص، خمسة من علماء الأزهر، واثنان من التجار المسلمين، وسبعة من الأقليات النصرانية. وعندما يضاف إليهم الأعضاء الفرنسيون يصبح المسلمون أقلية ضئيلة العدد والتأثير في هذا الديوان[2]! فالهدف لم يكن تدريب الشعب على حكم نفسه، كما يزيف المغرضون، وإنما كان إذلال الأمة بتحكم الأقلية الجانية في مصائرها!.

● أما الجهاز الفني والإداري أي الحكومة والسلطة التنفيذية

---

[1] [illegible] ص ٤٨ [illegible]

[2] [illegible]

فقد خص بها الفرنسيون هذه الأقليات التي أصبحت سياطا يلهب بها الفرنسيون ظهور المصريين.

● ولم يقف الأمر عند حدود توظيف هذا الاختراق خدمة مقاصد السياسية والمالية والإدارية، وإنما تعداه إلى توظيف هذه الشريحة من «أراذل القبط» كما سماهم جبرتي لا أسمر عقيدة الأمة، والعدوان على إسلامها!.

فعلى النقيض من محاولات خديعة المسلمين ادعاء «إسلام بونابرت»، ومجيء جيشه المصرة سلطان المسلمين ضد المماليك، رأينا جبرتي كثيرا كما يقول الجبرتي العهد لي المعلم يعقوب حنا بأن يفعل بالمسلمين ما يشاء، حتى تطاولت النصارى من القبط ونصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكانا، وصرحوا بالقضاء على المسلمين وأيام الموحدين[2]. فسق الوحدة الوطنية بلغت به الحملة الفرنسية حد استقرار وتهديد حتى عقيدة الإسلام في مصر وإعلان القضاء على المسلمين وأيام الموحدين.

● بل إن هذا الاختراق الذي أحدثته الحملة الفرنسية للوحدة الوطنية المصرية، لم ينقض آثاره بهزيمة هذه الحملة وجلاء جيشها عن مصر ١٢١٦هـ ١٨٠١م وتسامح «القبط القبطي» ذلك أن هذه الشريحة من أراذل القبط كانت بمثابة طليعة تدبر التغريب والاستلاب الحضاري والانفصال الذي سموه الاستقلال عن ماضي مصر وتراثها وهويتها الإسلامية وعن محيطها العربي

---

١ المصدر السابق جـ ٥ ص ٣٠

٢ المصدر السابق جـ ٥ ص ٣٣

والإسلامي ... الاستقلال عن الذات الحضارية، والإلحاق والالتحاق والتبعية للنموذج الغربي، الذي جاءته الفرنسيون الغزاة.

وإذا كان المعلم يعقوب اللعين، قد غادر مصر ... هو وأعوانه في ركاب الحملة الفرنسية المنهزمة، وعلى ذات السفن التي أقلت جنود هذه الحملة ... فإن حيلة هذه الحملة البونابرتية، لم تجعل أمان المعلم يعقوب تخيب في أوربا! ... فتوجه «بوصيته» التي كتبها في مرض موته على ظهر السفينة التي أقلته من مصر توجه إلى إنجلترا، لتحل محل فرنسا، ولتسعى للسيطرة على مصر، وإخافها أوربا ... بدلا من الإمبراطورية العثمانية - فكتب في وصيته عن هذا المشروع يقول:

«يوشك الإمبراطورية العثمانية على الانهيار ... فيهم الإنجليز، قبل أن تقع الواقعة، أن يلتمسوا لأنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل لهم الإفادة من ذلك الحدث عند وقوعه. فيحققوا مصالحهم السياسية.

وإذا كان من المستحيل عليهم أن يستعمروا مصر ... كما استحال ذلك من قبل على فرنسا ... فيكفي أن تخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا، صاحبة التفوق في البحار المحيطة بها ... إن بريطانيا لها من سيادتها البحرية ما يجعلها تستأثر بتجارة مصر الخارجية، وتضمن لها بالتالي أن يكون لها ما تريد من نفوذ فيها. إن مصر المستقلة لن تكون إلا موالية لبريطانيا ... ومن ثم فعلى بريطانيا أن تعمل على استقلال مصر ... وهذا الاستقلال لن يكون نتيجة وعي الأمة، ولكنه سيكون نتيجة تغيير جبري تفرضه القوة القاهرة على قوم مسالمين جهلاء ... وللدفاع عن هذا الاستقلال ... فإن

المصريين يمكنهم أن يعتمدوا على قوات أجنبية تعمل لحسابهم تتراوح عددها بين ١٢٫٠٠٠ و ٥٫٠٠٠ جندي، يكفون تماما لصد الترك عن الصحراء، ولسحق المماليك داخل مصر ... إن أي حكومة في العالم أفضل من الاستبداد التركي».

فالوصية «اليعقوبية» هي باستقلال مصر عن ذاتها الحضارية وماضيها وحاضرها الإسلامي، ومحيطها القومي والحضاري وإخضاعها للقوة الجبرية لتكون مواتية بريطانيا التي تستأثر بتجاربها الخارجية. هذا الاستقلال، الذي تفرضه القوات الأجنبية على المصريين «المسالمين الجهلاء»، كما قال المعلم يعقوب اللعين.

هكذا تخلّقت على يد الحملة الفرنسية أبو كبر الخيانة والاختراق للأمن الوطني والقومي والحضاري، من خلال ثغرة «الأقليات». ولا يزال يعاني من هذا «الإيحاء» الفرنسي حتى الآن، بل إن موكب الاحتفال الحالي بحملة بونابرت إنما يشي بالامتدادات السرطانية لتراث وأفكار يعقوب اللعين[1].

● وإذا كنا نشكو من اختراق القانون الغربي لمناطق سيادة الشريعة الإسلامية، منذ تسلل هذا القانون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى «المحاكم القنصلية»، ثم «المحاكم المختلطة» (١٢٩٢هـ ١٨٧٥م)، ثم عموم بلواه في القضاء الأهلي على يد الاستعمار الإنجليزي، وفي ظل سلطان اللورد «كرومر» (١٨٤١ - ١٩١٧) منذ (١٣٠٠هـ ١٨٨٣م)، فإن أبو كبر هذا الاختراق الذي زاحم شريعتنا الإسلامية وفقهنا الوطني، حتى

(١) د. أحمد حسين الصاوي (المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة) ص ١٢٣ - ٢٥ ملحق رقم ٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦م

أخلاهم عن أغلب ميادين التشريع والقضاء ببلادنا الإسلامية. إن بوكر هذا الاحتراق قد كان من آثار الحملة الفرنسية على مصر.

فبعد هزيمة جيش الحملة، وجلائه عن مصر، وبعد موت المعلم يعقوب اللعين على ظهر السفينة التي أقلته مع جيش الحملة الفرنسية إلى مرسيليا - توجه رفقاء المعلم يعقوب - بقيادة «عمر أفندي» باسم «الوفد المصري» - توجهوا إلى مرسيليا وكتبوا إلى بونابرت، يعرضون عليه العمل على إحلال القانون الفرنسي محل الشريعة الإسلامية في مصر. فبعد حديثهم عن «ولاء بونابرت» تعهدوا «بالتشريع لمصر التشريعات التي ترضى عنها فرنسا» معلنين بذلك ولادة التوجه الفكري الذي نراه الآن الداعي إلى إلحاق مصر بأوربا في النظم والتشريعات. فقالوا لبونابرت: إن الوفد المصري، الذي فوّضه المصريون، يتفقون على ولائهم لنا، سيشرّع لمصر ما ترضاه لها من نظم عندما تعود إليها من فرنسا...»[1]

● وإذا كنا نشكو اليوم من الاحتراق الديني، الذي تقوم به الكنائس العربية، العاملة في خدمة المخططات الاستعمارية في قلب إفريقيا، ومن استغلالها المشكلات الاجتماعية، والمنازعات القبلية، والكوارث الطبيعية - بل وصنعها لكل ذلك حتى تفقد الناس توازنهم، فيتم تحويلهم عن ديانتهم ومذاهبهم إلى النصرانية العربية. إذا كنا نشكو اليوم من هذا الاحتراق النصراني العربي للقارة الأفريقية، حتى لقد رفعوا شعار [illegible]

(١) المصدر السابق، ص ١٢٩، ١٣٠، ملحق رقم ٧.

إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م. فإن بوكر هذا الاختراق هي صناعة فرنسية يصا

فلقد كان إلحاق الكنيسة الأثيوبية - وهي أثوذكسية - بالكنيسة الرومانية الكاثوليكية أحد أحلام لويس الرابع عشر (١٦٣٨ - ١٧١٥م) أراد تحقيقه بواسطة بعض الأقباط المصريين - أي عن طريق اختراق الكنيسة المصرية - فلما فشل في تحقيقه رأينا أتباع المعلم يعقوب اللعين يكتبون إلى وزير الخارجية الفرنسي «تالبران» (١٧٥٤ - ١٨٣٨م) يتعهدون بالعمل على تحقيق ما لم يستطع تحقيقه لويس الرابع عشر! فيقولون: «لقد كان لويس الرابع عشر يعمل في الظاهر على ضم كنيسة أثيوبيا إلى الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية) ولكنه كان يسعى في الحقيقة لمد نفوذه السياسي نحو أقاليم وسط إفريقيا الجذابة الغامضة. ومن ثم بذل عدة جهود لم يقدر لها النجاح لكي يتعلم في فرنسا عدد من شباب القبط المصريين، لأن نظريات الأقباط هو نفسه رأس الكنيسة الأثيوبية. وإذا كان الملك قد أخفق في مسعاه، فإن الجمهورية الفرنسية اليوم إذا أرادت تمكنها عن طريق الأمة المصرية، التي ستكون موالية لها مد نفوذها نحو وسط إفريقيا. وبذلك تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية»!! أي والله! هكذا عرض رفقاء المعلم يعقوب - وهم ثمرة الاختراق الفرنسي لوحدتنا الوطنية - عرضوا تسخير مصر وكنيستها الوطنية في سبيل تحقيق أحلام الاستعمار الفرنسي في الشرق، وفي إفريقيا «الجذابة .. الغامضة» - كما قالوا - ! ..

المصدر السابق ص ١٣ - ١٣٢ ملحق رقم ٨ وتاريخ هذه المذكرة ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٠١م ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢١٦ هـ

فهل بهذه الاحتراقات، التي صنعها بونابرت وحملته الفرنسية، يحتفل الفرانكفونيون؟!.

وإذا قالوا: إنهم يحتفلون «بالفكر والثقافة»، لا «بالمدفع والبارود»، ففي أي حالة تصنع احتراق الوحدة الوطنية، وبلورة تيار الإلحاق الحضاري للبلاد بأوربا، واستبدال التشريع الفرنسي، قانون نابليون، بالشريعة الإسلامية، وتحويل هوية الأمة، مسلميها ونصاراها، نحو الغرب والتغريب، واحتراق الكنيسة المصرية، للوصول عبرها إلى قلب إفريقيا، في أي حالة تصنع هذه «الإنجازات» البونابرتية، إذا لم تصنعها في حالات «الفكر... والثقافة»؟!

لقد انكشفت الوجوه... بل وشاهت هذه الوجوه!

* * *

● ويزيد الطين بلة... أن سجل العار لحملة بونابرت الفرنسية لم يقف عند هذا الذي صنعته بمصر - والذي اكتفينا في حديثنا عنه بإشارات إلى المناطق والميادين غير المطروقة وغير المشهورة والتي قد يحاول فيها عبيد الفرنكفونية، الذين يحتفلون في ذكرى الاحتلال - بما يرونه «إنجازات إيجابية» لحملة نابليون - لم يقف سجل هذا العار الذي به يحتفلون عند الاحتراق لأمن مصر الوطني والديني والفكري والثقافي، وإنما بعده إلى احتراق الأمن القومي العربي أيضا.

خلق المشروع الصهيوني

● فكما سعت الحملة الفرنسية إلى اختراق الأمن الوطني المصري، لتحويل نصارى مصر إلى ثغرة اختراق، بدلا من أن يكونوا سنة في جدار هذا الأمن الوطني، سعت كذلك إلى تحويل الأقليات اليهودية في مختلف أنحاء العالم إلى ثغرة اختراق للأمن القومي العربي، ودعوتهم إلى مشاركة فرنسا في إقامة إمبراطوريتها الاستعمارية في الشرق مقابل اتخاذهم مواطئ قدم لهذا المشروع الاستعماري الغربي على أرض فلسطين.

أي أن هذا الذي نشقى به ومنه أمتنا العربية والإسلامية، الكيان الصهيوني المزروع قسرا في فلسطين والذي يسعى للتمدد على الأرض ما بين النيل والفرات بإقامة إسرائيل العظمى، إن هذا الذي نشقى به ومنه أمتنا بدأ مشروعا فرنسيا وأراد منذ أن الدعوة إليه بونابرت أبان حملته الفرنسية على مصر والشام.

ففي (١٢١٣هـ/١٧٩٩م)، وأثناء حصار بونابرت لمدينة «عكا»، أصدر نابليون نداءه الشهير إلى الطوائف اليهودية، وهي التي نعمت تاريخيا في الحضارة الإسلامية بما لم تحلم به في حضارة أخرى، أصدر نداءه إلى هذه الطوائف، داعيا إياها كي تتحالف مع جيشه الغازي ومشروعه الاستعماري، ليقوم بدور «ثغرة الاختراق» و«موطئ القدم» و«قفاز القبضة الاستعمارية الغربية»، وذلك مقابل تمكينهم من أرض فلسطين.

كان نوبارت قد احتل مصر وطمح فيما سبق وطمع فيه القديس لويس التاسع «أن يستعيد بيت المقدس إلى الفرنج عن طريق امتلاك الديار المصرية» فأراد أن يستعين على تحقيق ذلك باستخدام ورقة الأقليات اليهودية، وتراثها الأسطوري حول القدس وفلسطين فوجه إليها نداءه الذي قال فيه:

«من نابليون بونابرت، القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين.

أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد نهضوا بقوة، أيها المشردون في البيئة لا تدمر نسيان ذلك العار الذي أوقعكم تحت نير العبودية، وذلك الخزي الذي شل إرادتكم لألفي سنة.

إن فرنسا تقدم لكم يدها لأن حاملة إرث إسرائيل إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به قد اختار القدس مقرا لقيادته وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة، التي استهانت طويلا بمدينة داود وأدلتها.

يا ورثة فلسطين الشرعيين إن الأمة الفرنسية تدعوكم إلى إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء»[1].

بهذا النداء النوبارتي، وذلك «الإنجاز» الذي بدأته حملة النوبارتية بدأت خيوط المأساة التي يعيشها أمتنا العربية

---

[1] محمد حسن هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، [illegible] والإمبراطورية والنبوءة اليهودية، الكتاب الأول، ص ٣٠-٣٢، طبعة [illegible] سنة ١٩٩٦م.

والإسلامية ... مأساة اختراق أمن الأمة، واستنزاف طاقاتها، وقطع وحدة وطن العروبة ودار الإسلام، وضرب مشاريع التقدم والتحرر والنهوض بالصهيونية وكيانها الإسرائيلي الاستعماري على أرض فلسطين.

فالحملة الفرنسية على مصر كانت البداية، ونوبارت كان الرائد للصهيونية الحديثة التي وظفت الأقليات اليهودية في المشروع الاستعماري الغربي منذ مائتي عام، وبعد ذلك تابعت القوى الاستعمارية الغربية السير وراء نابليون وفرنسا، انجلترا بأن قادتها للمد الاستعماري الغربي على الشرق، ثم أمريكا التي ورثت نفوذ وهيمنة أمبراطوريات الاستعمار القديم في وطن العروبة وعالم الإسلام..

فهل يستحق هذا «الإنجاز» الفرنسي، وهذه الريادة البونابرتية، احتفال الفرنكفونيين؟ أم تقول لهم مرة أخرى شاهت الوجوه؟!.

* * *

● وعلى ذات الدرب ... درب الاحتراق الفرنسي للأمر القومي العربي والحمى الحضاري الإسلامي ... تواصلت جهود الاستعمار الفرنسي.

فالقديس لويس التاسع (١٢١٤ - ١٢٧٠م) الذي حلم ... قبل ... بامتلاك بيت المقدس عن طريق احتلال مصر، هو الذي بدأ الإمساك بخيط «شركة العمالة» مع نفر من «الأقلية المارونية» منذ (٦٤٨هـ - ١٢٥٠م)[1] ... فعندما لقيهم في الشام، قال: «نحن مقتنعون بأن هذه الأمة (الجماعة) التي تعرف باسم القديس «مارون» هي جزء من الأمة الفرنسية».

وعلى درب لويس التاسع تواصلت خطوات الاحتراق الفرنسي لأمتنا القومي، باستخدام قطاعات من الأقلية المارونية الكاثوليكية كفرنسا ... حتى وصل الاحتراق حد رفع شعار «أمنا فرنسا» من قبل قطاع مؤثر من المارونيين، الذين تحالفوا مع الصهيونية في اجتياحها لبنان سنة ١٩٨٢م ... محققين بهذا التحالف أحلام نابليون! ..

وبعد كان لمدارس التبشير والإرساليات الفرنسية الدور الأكبر في هذا «الإلحاد الفرنسي» ... حتى قبل الإسهام الاستعماري

---

[1] محمد السماك: «الأقليات بين العروبة والإسلام» ص ٧٤ وهو ينقل عن ... الباب العالي ... عدد الثالث ص ...

المباشر من خلال معاهدة «سيكس - بيكو» ١٣٣٣هـ ١٩١٥م لتقسيم الولايات العربية العثمانية بين إنجلترا وفرنسا والاحتلال الفرنسي المباشر للشام إبان الحرب الاستعمارية العالمية الأولى. فمدارس البعثة اليسوعية في لبنان في القرن التاسع عشر قد اعتبرت التعليم الذي تقدمه لأبناء الطائفة المارونية أساساً «فتحاً بواسطة اللغة». والقنصل الفرنسي هناك تعبيره «سيطرة على الشعب، تخلق جيشاً مارونياً متفانياً في خدمة فرنسا».

أما «لون موفلان» Pat Mavelin - أحد كبار اليسوعيين - فيكتب قائلاً: «إن تعليم الدين بعينا الفرنسية لا يعني مجرد أن تألف ألسنتهم وآذانهم الصوت الفرنسي، بل إنه يعني فتح عقولهم وقلوبهم على الأفكار وعلى العواطف الفرنسية حتى تجعلهم فرنسيين من زاوية ما. إن هذه السياسة تؤدي إلى فتح بلد بواسطة اللغة».

وفي مذكرة كتبها القنصل الفرنسي بيروت في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٤١م - إلى سكرتير الدولة لوزارة الخارجية الفرنسية بباريس يقول: «إنه حين نبشر في هذا البلد بواسطة اللغة الفرنسية بالتعليم، والأخلاق والفنون فإننا سوف نسيطر على الشعب وسنكون لفرنسا هنا، وفي كل وقت جيش متفان».

وفي مذكرة أخرى - بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٤٧م - كتبها القنصل الفرنسي «دي لينو» De Lattenaud إلى وزارة الخارجية الفرنسية، يصرح بأن إنشاء المدارس اليسوعية في الشام هو السبيل إلى «جعل البربرية العربية ؟!! تتجلى لا أراد أمام الحضارة المسيحية الفرنسية..»[1]

---

١ - المرجع السابق ص ٣٧ وهو ينقل عن مراسلات القناصل السياسية وزارة الخارجية الفرنسية مجلد ٢

ذلك هو حديثهم، هم عن مدارسهم وثقافتهم وفنونهم، وعن مقاصدهم من وراء زرعها في المحيط العربي بواسطة المارونيين. فهل يمثل هذا يحتفل المحتفلون؟

بل إن هذا الزرع الفرنسي في صفوف المارونيين بالشام قد تعدت تأثيراته السامة إلى ما وراء الشام ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر هاجر إلى مصر عدد من خريجي هذه المدارس الفرنسية فأصدروا بمصر صحفاً ومجلات وأقاموا دوراً للنشر والثقافة تحول الكثير منها إلى منابر للتغريب والعلمانية والتشكيك في العقائد الدينية، ومحاولات استبدال العامية بالعربية الفصحى أي تفكيك وتوهين مكونات الهوية الحضارية لأمتنا.

وفي هذا الميدان عمل مثقفون وصحفيون مورونة من أمثال أمين شميل (١٢٤٣ - ١٣١٥هـ ١٨٢٨ - ١٨٩٧م) أول دعاة استبدال العامية بالفصحى، وشبلي شميل (٢٧٦ - ١٣٣٥هـ ٨٦٠ - ١٩١٧م) المنتشر بالإلحاد عن طريق الداروينية والفلسفة الوضعية والمادية، وفرح أنطون (١٢٩١ - ١٣٤٠هـ ١٨٧٤ - ١٩٢٢م) داعية العلمانية، ومفسر فلسفة ابن رشد (٥٢٠ - ٩٥٤هـ ١١٢٦ - ١١٩٨م) تفسير مادي، ويعقوب صروف (٢٦٨ - ١٣٤٥هـ ١٨٥٢ - ١٩٢٧م) وفارس نمر (١٢٧٢ - ١٣٧٠هـ ٨٥٦ - ١٩٥١م) وشاهين مكاريوس (١٢٦٩ - ١٣٢٨هـ ١٨٥٣ - ١٩١٠م) الذين أصدروا مجلة «المقتطف» لتدين الشك واللاأدرية والإلحاد بواسطة النظريات العلمية الغربية ذات الحلية الفلسفية الوضعية والمادية. كما أصدروا صحيفة «المقطم» لتكون منبر الإعلام لسياسة الاستعمار الإنجليزي بمصر!

وعن هذه المدرسة «المارونية» التي تتلمذ عليها الذين يحتفلون بحملة بونابرت، يقول ابن مصر البار ونموذج الوطنية الصادقة، والعالم المجدد عبد الله النديم (١٢٦١ - ١٣٠٣ هـ/٨٤٥ - ١٨٩٦م): «إنهم الأجراء، أضداد مصر والمصريين، المؤسسين للفتن، والمترددين على أبواب وكلاء الدول الأجنبية بالأكاذيب والأراجيف، فأصبحوا لا شرقيين ولا غربيين، وتحدثهم أوربا وسائل لتنفيذ آرائها ووصولها إلى مقاصدها من الشرق، وهي تحثهم على المثابرة على عملهم باسم المدنية، وما هي إلا التوحش والرجوع إلى الحيوانية المحضة، فقد نبتت لحوم أجسامهم في خدمة الأجنبي، فانفعلت بها أرواحهم، فكلما حولتها عن وجهتها الغربية دارت إليها، فهي قبلة مُصلاّها التي وقفت في محرابها وقوف الفائت الواعظ».

كما يتحدث النديم عن مجلة «المقتطف» (١٢٩٢ - ١٣٧٠ هـ/٨٧٦ - ١٩٥٢م)، وهي نموذج ومثال المجلات التي تتلمذ عليها الذين يحتفلون اليوم بحملة بونابرت، فيقول عنهم وعنها: «أعداء الله وأنبيائه، والأجراء الذين أنشأوا لهم جريدة جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يدينوا بدين ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية، وأنبياء كتب الكيماوية، ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الحق، وقد ستروا هذه الأباطيل تحت اسم فصول علمية، وما هي إلا معاول يهدمون بها عموم الأديان»[2].

---

١) مجلة (الأستاذ) الأعداد الرابع والعشرون ص ٥٦٤ - ٥٦٧، والثاني والعشرون ص [illegible]، والسابع عشر ص ٣٨٨ - ٣٩٠، القاهرة سنة ١٣١٠ هـ.

٢) [illegible] العدد التاسع والثلاثون ص ٩٢٣ - ٩٢٤.

أما صحيفة «المقطم» (١٣٠٦ - ١٣٧١هـ ١٨٨٩ - ١٩٥٢م)، فلقد وصفها النديم بأنها «الجريدة الإنكليزية التي تصدر في مصر»[1]. ووصف أصحابها بأنهم «الأجراء الجوية عملاء الأجانب الذين خانوا وطنهم وسلطانهم وأهلهم وخلانهم وذلك عندما داروا حول أبواب الإنكليز وأصدروا جريدتهم لشق عصا الاجتماع الشرقي»[2].

ذلك هو «الزرع الثقافي الفرنسي» في الشام، وهذه هي امتداداته السرطانية في مصر، وهي «المدرسة» التي تتلمذ عليها الفرنكفونيون المعاصرون، الذين يحتفلون بالحملة الفرنسية، والزرع الثقافي الذي زرعته في وطن العروبة وعالم الإسلام.

* * *

(١) المصدر السابق، العدد الثاني والأربعون ص ١٠٢٩.

(٢) المصدر السابق، العدد الرابع والثلاثون ص ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٤٥، ٩٤٧، ٩٣٢.

وعلى الجبهة المغربية أيضا

● ولا يحسبن أحد أن محاولات الاختراق الفرنسية لأمننا الوطني والقومي والحضاري في الواقع السياسي والفكري قد اقتصرت على تعريب الأقليات غير الإسلامية فقط مصر وموارنة لبنان واليهود فلقد عمت محاولات الاختراق هذه حتى الأقليات القومية ذات الأصول العرقية غير العربية وكان صنيع الاستعمار الفرنسي مع المسلمين الأمازيغ وخاصة في الجزائر والمغرب نموذجا لهذا الاختراق من خلال الفكر والثقافة وفي اللغة والقانون -

فالأمازيغ الذين يمثلون أكبر الأقليات القومية في الوطن العربي عددهم ١٤,٠٠٠,٠٠٠ (أربعة عشر مليونا) أي ضعف عدد كل الطوائف النصرانية العربية بثلاث عشرة ٧,٠٠٠,٠٠٠ (سبعة ملايين) حتى وإن لم يأخذ بالآراء التي ترجعهم إلى أصول عربية قديمة قد جمعهم الإسلام بالعرب في العقيدة والشريعة والثقافة والحضارة والتاريخ والقيم والأخلاق والعادات والتقاليد بل لقد نهضوا بدور بارز في تكوين الدول الإسلامية والجهاد الإسلامي والفتوحات الإسلامية وبسبب من كون العربية لغة القرآن ولسان الإسلام وسبيل فقه الشريعة الإسلامية والسنة

[illegible] القاهرة سنة ١٩٩٤م

السنوية، أصبحت العربية هي لغة الأمازيغ الأولى، مع بقاء لغاتهم القديمة غير المكتوبة متداولة تقوم بمقام اللهجات في حفظ الموروث القومي، والمخاطبات في بعض الشئون الحياتية اليومية الدارجة.

ومع ذلك وجدت مخطط الاختراق الفرنكفوني للاستعمار الفرنسي ولغته الفرنسية وقانونه الوضعي، يتخذ من الأمازيغ جبهة من جبهات تفكيك الأمة، بعزلهم عن العرب، وفصل إسلامهم عن اللغة العربية، وقطع الصلات بين عقيدتهم الإسلامية وبين الشريعة الإسلامية وفقه المعاملات فيها، وذلك ليربطهم بفرنسا ويحل لغته محل عربيتهم، وقانونه محل شريعة الإسلام وقانونها وفقه معاملاتها..

وعن هذا المخطط الفرنكفوني يقول الكاتب الفرنسي «فيكو نيكيه» في كتابه (العنصر البربري) - الصادر سنة ١٩٢٥م - «إننا نشاهد تغلب العربية في السهول، حيث السكان العرب، وهذا يمكننا تعليله بأن اللغة البربرية لا تكتب، وبأن اللغة العربية هي لغة القرآن، وقد لعبت «الكتاتيب» دوراً هاماً في الاستعراب، ولذلك فإن كل مجهوداتنا يجب أن تصب على تعليم البرابرة الفرنسية، بلا واسطة لغة أخرى، لقد هيأت سنة ١٩٢٣م للمدرسة برنامجاً فرنسياً بربرياً له روح فرنسية كاثوليكية وهذه خطة حسنة لوقف التعامل مع اللغة العربية على أنها لغة التفاهم، ويمكننا بسهولة كتابة البربرية بالحروف الفرنسية كما فعلنا بالهند الصينية.

وإذا لم يمكن عقد الأمل على رجوع البربر عن الإسلام، وبيدهم بهذا

الدين، لأن جميع الشعوب لا تبقى بدون دين في مرحلة تطورها، فيجب أن لا نخشى من ذلك، خاصة إذا تمكنا أن نفصل بين الإسلام والاستعراب. وفصل الدين عن القانون المدني مثلما حدث بإدخال تغيير بالهامة سنة ١٩١٧م في قانون الأحوال الشخصية. وبذلك يمكننا أن نحصر الإسلام في الاعتقاد وحده. وعلى هذا لا يهمنا كثيرا أن نضم لديانة الشعب كله، وأن آيات من القرآن يتلوها رجال بلغة لا يفهمونها. فالديانة الكاثوليكية تستعمل اللغة اللاتينية والإغريقية والعبرانية في قداديسها.

فهدف المخطط الفرنكفوني لتقليب الأمة من باب الثقافة هو علمنة الإسلام، وفرنسة اللغة لإحلال القانون الفرنسي محل الشريعة الإسلامية وفقه معاملاتها، ولإحلال الفرنسية محل العربية. وبذلك تندمج الأعراف البربرية في القانون الفرنسي، ويصبح الأمر بعد فرنسة اللغة أي يتم دمجهم في الثقافة الفرنسية دمجا تاما.

وليست هذه الثمرات والمقاصد بالاستنتاج الذي نستنتجه نحن، وإنما هي اعترافات الأستاذ الفرنسي للحقوق في معهد الدروس العليا «بالرباط» - «جورج سوردون» بكتابه «مبادئ حقوق العرقية المغربية» الصادر بالرباط سنة ١٩٢٨م، وإليك يقول فيه:

«يجب جمع العادات البربرية لئلا تضمحل في الشرع الإسلامي إذ العرف يتمحى إزاء القانون. والأولى أن نرى العرف البربري يندمج في القانون الفرنسي من أن نراه يندمج في القانون الإسلامي لأن الأسلحة الفرنسية هي التي فتحت البلاد العربية، وهذا يحوي اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في هذه البلاد».

فهل يعي ويفهم الفرنكفونيون، الذين يزعمون أنهم ما يحتفون ويحتفلون بثقافة فرنسا لا بمدافعها، هل يعون المعنى الواضح لكلمات «جورج سوردون»، والتي تقول إن الأسلحة الفرنسية إنما استخدمت لتطبيق القانون الفرنسي في البلاد العربية، فقانون نابليون هو الثمرة لمدافع نابليون!!

وهذا الذي كتبه «الأساتذة» و«الكتاب» الفرنسيون هو ذاته الذي طبقته السلطة الاستعمارية الفرنسية، فالمقيم العام الفرنسي بالمغرب المارشال «ليوتي»، يصدر أوامره إلى وزارة العدل باستبعاد اللغة العربية، وفك ارتباطها بالإسلام، بالمزج البربري في فرنسا عن طريق اللغة الفرنسية والقانون الفرنسي، فيقول في أوامره: «إنه خطأ فاحش التصرف بشكل يساعد على إعادة إحياء العلاقة بين العرب والبربر، ولا حاجة في تعليم العربية للبربر، فالعربية هي رائد الإسلام، لأن هذه اللغة تُعلّم من القرآن، ومصلحتنا هي أن تمدن البربر خارج دائرة الإسلام، وأما ما يتعلق باللغة، فيجب علينا أن نضمن الانتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية بدون واسطة..»[1]

تلك هي مخططات الاختراق الفرنسي لأمتنا الفكري والثقافي في الدين وبالتالي على المستوى الوطني والقومي والحضاري، فأين يا ترى هذه «الثقافة المجردة» الخالصة من شبهات الغزو والحرب التي يحتفل بها الفرنكفونيون؟!

* * *

---

(1) محمد عمارة: الإسلام والتعددية: التنوع والاختلاف في ظل الوحدة، ص ٢٧٦ - ٢٧٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧م

وخرافة المطبعة.. والمجمع العلمي

وإذا كنا قد كشفنا خرافة الإنجازات السياسية والإدارية والديمقراطية التي يزعم الفرنكفونيون أن بونابرت قد أدخلها إلى مصر، بما أنشأ من «الديوان المشورة» - عندما كشفنا - نقلاً عن الجبرتي - أن هذه المؤسسات كانت أداة القمع الفرنسي التي غلب في عضويتها «أراذل القبط» و«النصارى الأروام» الذين خانوا وطنهم مصر - فإن مزاعم الفرنكفونيين حول «المطبعة» التي جاء بها بونابرت إلى مصر - وكذلك «المجمع العلمي المصري» الذي أسسه البلاد - إن هذه المزاعم هي ألوان من الخرافات التي لا أصل لها في التاريخ

فبونابرت - وهو في طريقه إلى مصر - «أحضر معه مطبعة «بيروتاجيدا» من إيطاليا لتطبع بها بيانات التضليل للشعب المصري، تلك التي زعم فيها أنه مسلم أكثر من المماليك ويصير خليفة المسلمين، على عكس المماليك» - ثم خرجت هذه المطبعة من مصر بخروج الحملة الفرنسية،[1] فلم يكن لها أي أثر يفي بتبرير احتفال الفرنكفونيين!

أما المطبعة التي نهضت بالدور الريادي في ثقافة مصر العربية والإسلامية - مطبعة بولاق الأميرية - فهي التي فكر محمد علي باشا (٨٤١ - ٢٦٥ هـ/١٧٧٠ - ٨٤٩ م) في إنشائها ٢٣ هـ/٨١٥ م وأشرف

---

[1] د. جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة وحركة الثقافة في عصر محمد علي، ص ١٩٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٥١م

من مال الدولة المصرية، وبدأ بتأجيلها على الأرجح ٢٣٥ هـ ٨٢٠ م) وهي مطبعة وطنية مصرية قامت في بولاق ولا علاقة لها بمطبعة «البروباجند» التي جلبها نابليون من الفاتيكان، لتضل المصريين بمنشوراتها..

فهل يحتفل الفرنكفونيون بمطبعة «البروباجند» وما صدر عنها من أصابيل؟

أما «المجمع العلمي المصري» الذي يزعم الفرنكفونيون أن نابليون قد أسسه فإنه هو الآخر خرافة من الخرافات فالبعثة العلمية الفرنسية التي صحبت جيش الحملة البونابرتية قد جاءت لتدرس الواقع المصري، حتى يستطيع الغزاة حكمه وتدرس الشخصية المصرية، حتى يسهل على المستعمرين السيطرة عليها ثم انسحبت هذه البعثة مع جيش الإحتلال ١٢١٦هـ ١٨٠١ م) ولا علاقة لهذه البعثة الفرنسية التي واصلت أبحاثها بعد الجلاء في فرنسا لا علاقة لها بالمجمع العلمي المصري، على الإطلاق فالمجمع العلمي المصري هو مجمع وطني، قام في سنة ٨٥٩ م على عهد الخديوي سعيد ٢٧ ٢٧٩ هـ ٨٥٤ ٨٦٢ م أي بعد ما يقرب من ستين عاما على جلاء الحملة الفرنسية والبعثة العلمية الفرنسية التي صحبتها

فأي مطبعة وأي مجمع يحتفل الفرنكفونيون؟

وأي ثقافة يحتفلون؟[1]..

لقد كان الدكتور طه حسين ٢٠٦ ٣٩٣ هـ ٨٨٩ ٩٧٣ م شجاعا، عندما اعترف في لحظة صدق مع واقع التعريب بأن البعثة

---

١) المصدر السابق، ص ٩٥

الفكرية لأوربا هي «الزام» أكثر منها «التزام» و«اختيار» فقال في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» الذي ألفه عقب معاهدة سنة ١٩٣٦م بين مصر وبريطانيا ومعاهدة الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٨م:

«لقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة ونسلك طريقها في التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوربا وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال (١٩٣٦م) ومعاهدة إلغاء الامتيازات (١٩٣٨م) إلا التزاما صريحا قاطعا أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع؟»

ولقد بدأ هذا الإلزام بحملة نوبارت... وما أحدثته من اختراقات لأمتنا الوطني والقومي والحضاري في الفكر والثقافة والقيم والتشريع واللغة والأخلاق.

ويشهد على ذلك أيضا أن الفرنكفونيين الذين يحتفلون بهذا الاختراق النوبارتي إنما يصنعون ذلك لأن ثقافتهم هي عين ثقافة هذا الاختراق فهم امتدادات سرطانية لهذا الاختراق الذي به يحتفلون ويحتفلون! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لكن العزاء هو في رفض الأمة لهذا الانحدار الذي سقط فيه خلفاء «المعلم يعقوب اللعين»!

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر) جـ ١ ص ٣٦، ٣٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م

أوراق ووثائق الاختراق

١ «الاعلان الإنذار» الموجه من بونابرت إلى المصريين

٢ جيش الخيانة الوطنية.. وصف الجبرتي للفيلق القبطي، الذي كوّنه وقاده المعلم يعقوب!

٣ رثاء الخيانة للاحتلال: القصيدة الزجلية التي رثى بها المعلم يعقوب الجنرال الفرنسي «ديزيه»

٤ وصية الجنرال يعقوب لتبعية مصر لإنجلترا بعد فشل الحملة الفرنسية ..

٥ إعلان الولاء لبونابرت: رسالة رفاق الجنرال يعقوب إلى بونابرت عارضين الولاء والخدمات.

٦ اختراق إفريقيا بواسطة مصر: رسالة رفاق الجنرال يعقوب إلى وزير الخارجية الفرنسي

٧ واختراق منظومة القيم: وصف الجبرتي لطرف مما احدثته الحملة الفرنسية على جبهة القيم الاسلامية والشرقية.

١ إعلان بونابرت إلى المصريين

وكانت باكورة مطبوعات مطبعة «البروباجندا» التي جاء بها بونابرت إلى مصر، والتي يزعم الفرنكفونيون أنهم يحتفلون بإنجازاتها في تنوير مصر والمصريين، هذا «الإعلان» الإنذار، الذي وجهه بونابرت إلى المصريين عند بدء احتلاله لديارهم.

وجميع ما في هذا الإعلان أكاذيب وتهديد ووعيد.

● ففي الوقت الذي لم يستطع فيه بونابرت إخفاء حقيقة أن عداءه للمماليك المصرية إنما سببه الضرائب التي كانوا يحصلونها من التجار الفرنسيين، «فهم يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرانساوية ويظلمون تجارها بأنواع النقص «الإتاوات» والتعدي فحضر الآن ساعة عقوبتهم».

وهو اعتراف منه بجانب من الأسباب الاقتصادية للحملة.

● نراه يزعم أن عزوه هذه إنما هي تنفيذ للقدر الإلهي، «فرب العالمين القادر على كل شيء، قد حتم علي بقضاء دولتهم» أي دولة المماليك.

● وعندما كذب بونابرت كذبته الكبرى في هذا الإعلان فزعم أنه «والفرنساوية مسلمين خالصين وأنه أكثر من المماليك يعبد الله سبحانه وتعالى، ويحترم نبيه محمد، والقرآن العظيم».

كشف المصريون بالفطرة الإسلامية رغم عدم اطلاعهم يومئذ على الفلسفات الأوربية - كشفوا «وضعية» ومادية

ودهريه ... وإلحاد» بونابرت وحملته وفكرته الدولة الفرنسية

فقال الجبرتي معلقاً على كلمة بونابرت هذه - : «لا شك أن هذا جبل في العقل وعلو في الجهل أي عناده فضلاً عن كثرتها مع كفر عطى على فؤاده وحجبه عن الوصول إلى رشاده»[1] ولو احترم نبينا لاحترم أمته إن إسلامهم نصب ولقد خالفوا النصارى والمسلمين، وهم دهرية معطلون وللمعاد والحشر منكرون، ولنبوة والرسالة جاحدون.

و«المصحف المنكي» أنه في الوقت الذي كانت فيه مطبعة بونابرت تحدث المصريين بتخدعهم عن «إسلامه، وعبادته لله واحترامه لنبي الإسلام، وقرآنه العظيم» كانت ذات المطبعة تطبع في صحف الحملة الفرنسية الأشعار التي تتحدث عن بونابرت باعتباره «الإله» الذي يقود جيشاً من الأبطال والذي لا بد للآلهة الأخرى أن تطأطئ له الرؤوس[1] ففي قصيدة «المواطن حالان» يتحدث عن بونابرت فيقول:

«من هو هذا الإله الذي يتقدم ويندفع كالبرق في الممرات الخالدة

فيجعلنا نؤمن بالوهم والخيال.

يا آلهة اليونان وروما طأطئوا رؤوسكم لشامخة

أيها الغزاة القدامى لقد كان يعطشكم للمجد وحده هو الذي يقودكم إلى النصر

«ما بونابرت فيه وحده ينبغي تقديم القرابين

---

١) (مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس) ص ٣٤ تحقيق حسن محمد جوهر، وعمر الدسوقي طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩ م

فهو إله يقود جيوشاً من الأبطال .[2]

● وإذا كان بونابرت لم يدع الألوهية في المنشورات التي وجهها للشعب المصري ، فقد ادعى أنه مبعوث العناية الإلهية ، الذي تحدثت آيات القرآن عن حملته على مصر[1] ، فقد افترى فزعم أنه علام الغيوب ، الذي يعلم سرائر النفوس والقلوب فخاطب المصريين وقال :

أيها العلماء والأشراف اعلموا منكم أن الذي يعاديني ويخاصمني إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد منجاً ولا مخلصاً ينجيه مني في هذا العالم ولا ينجو من يد الله لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى ، والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله وإرادته وقضائه ، والقرآن العظيم صرح في آيات كثيرة بوقوع الذي حصل .

واعلموا أيضاً أني قادر على إظهار ما في نفس كل واحد منكم لأني أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما أراه ، إن كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم إلهي لا يُرَدّ ، وإن اجتهاد الإنسان غاية جهده لا يمنعه عن قضاء الله الذي قدّره وأجراه على يدي .

ولقد وصف الجبرتي هذا « الافتراء البونابرتي » فقال : « إنها تمويهات على العقول وتسلق على دعوى الخواص من البشر ، تفاسد التخيلات التي تنادي على بطلانها بديهة العقل فضلاً عن النظر »[3]

* * *

---

٢) صلاح الشيباني : صحف بونابرت في مصر ، ج ٢ ص ٣٢ ، طبعة القاهرة .
٣) (عجائب الآثار) جـ ٥ ص ٤ ، ٦ .

هذا عن أحد نماذج الكذب والشرك والهرطقة فيما صنعته مطبعة حملة بونابرت في مصر .

● أما عن الإنذارات والتهديدات وألوان الوعيد ... فيكفي أن تعرف أن بونابرت قد طلب من المدن والقرى المصرية ، التي تمر بها جيوش الحملة ، والواقعة على مسافة مسيرة ثلاث ساعات من طرق مرور جيوش ... أن تعلن استسلامها وخضوعها ، برفع الأعلام الفرنسية ... «نصب الساحق الفرانساوي ، الذي هو أبيض وكحلي وأحمر» ، وأن جزاء المقاومة ، وعدم إعلان الاستسلام هو الحرق بالنار ! «فكل قرية تقوم على العسكر الفرانساوي تتحرق بالنار ... بل إن مقاتل الموتى لم تسلم من الهدم ، خوفاً من تترس المحاربين بها ! كما يقول الجبرتي[4]

ولأن مصر لم تستسلم ... ولم ترفع رايات الخضوع ، و «نصب الساحق الفرانساوي» ... فلقد كان مرور جيش بونابرت يتم بين قرى مدمرة ومحروقة ، على امتداد مسيرة ثلاث ساعات ، عن اليمين وعن الشمال !!

وعلى امتداد سنوات الاحتلال الثلاث ... دارت أغلب القرى والمدن المصرية ... وطبق الفرنسيون هذا الوعيد ... الذي جاء بالإعلان الذي كان باكورة مطبعة نابليون !

* * *

أما النص الكامل لهذا الإعلان الإنذار فهو

(٤) (مظهر التقديس) ص ٣١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

لا ولد له ولا شريك في ملكه

من طرف الجمهور الفرنساوي، المبني على أساس الحرية والتسوية، أسر عسكر[5] الكبير بونابرته، أمير جيوش الفرنساوية، يعرّف أهالي مصر جميعهم أنه من زمان مديد الساحق[6] الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة[7] الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع البلص[8] والتعدي فحضر الآن ساعة عقوبتهم.

وحسبنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبة من جبال الأنار[9] والكرجستان[10] يفسدون في الإقليم الأحسن الذي يوجد في كرة الأرض كلها، فأما رب العالمين القادر على كل شيء قد حتم على انقضاء دولتهم.

يا أيها المصريون قد تقولون لكم إني ما نزلت في هذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوا، وقولوا للمفترين إني ما قدمت إليكم إلا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين وإني أكثر من المماليك عند الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمد والقرآن العظيم.

(5) [illegible] العام [illegible] الكتب - أحيانا - «سارى عسكر» و«صارى عسكر» والسارى العمل الذي يرفع عليه العلم

(6) مفردها [illegible] على الإقليم [illegible] وعلى حاكمه

(7) الملة [illegible] الأمة [illegible] (8) مفردها [illegible] وهي الإتاوة [illegible]

(9) [illegible] (10) الكرج في جورجيا [illegible]

وقولوا أيضاً لهم: إن جميع الناس متساوون عند الله، وإن الشيء الذي يفرّقهم من بعضهم بعضاً فهو العقل والفضائل والعلوم فقط، وبين المماليك ما العقل والفضائل والمعرفة التي تميّزهم عن الأخرس وتستوجب أنهم يتملكون وحدهم كلما تحلو له حيات[12] الدنيا.

حيثما يوجد أرض مخصبة فهي مخصّصة للمماليك، والحوارى الأجمل والخيل الأحسن والمساكن الأشهى فهذا كله لهم خاصة.

إن كانت الأرض المصرية التزام[13] للمماليك فيورّون الحجّة[14] التي كتبها لهم الله، فلكن رب العالمين هو رؤوف وعادل على البشر، بعونه تعالى من اليوم فصاعداً لا يستثنى أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية، فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيديرون الأمور، وبذلك يصلح حال الأمة كلها.

سابقاً في الأراضي المصرية كانت المدن المعظمة والخليجات[15] الواسعة والمتجر المتكاثر، وما أدى ذلك كله إلا الطمع وظلم المماليك.

وإنها القضاة[16] والمشايخ والأئمة (الأئمة) وبأنها

---

(١١) أي: كل ما

(١٢) أي: حياة

(١٣) الالتزام: شكل من أشكال الاستغلال الإقطاعي للأرض [illegible] حتى عصر محمد علي [illegible]

(١٤) أي حجة ووثيقة الالتزام والاختصاص

(١٥) أي الخلجان: الأراضي الخصبة التي كانت قبل زراعتها خلجاناً تجري فيها المياه

(١٦) أي القضاة

شوبجيه [illegible] وأعيان البلد، قولوا لأمتكم إن الفرانساوية هم أيضا مسلمين خالصين [8]، وإثباتا لذلك قد زلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان يحث دائما النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالتيرية [9] الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين. ومع ذلك الفرانساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين لأخلصين حضرة السلطان العثماني، وأعدا أعدائه [10]، أدام الله ملكه.

وبالمقلوب المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما طاعوا أصلا إلا لطمع أنفسهم.

طوبى ثم الطوبى لأهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فتصلح حالهم ويعلي مراتبهم طوبى أيضا للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المحاربين فإذا تعرفوا بالأكثر يتسارعوا إلينا بكل قلب.

لكن الويل ثم الويل للذين يتحدون مع المماليك ويساعدوهم في حرب علينا فلا يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى منهم أثر.

المادة الاولى

جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلثة ساعات عن المواضع التي يمر بها العسكر الفرانساوي فواجب عليها أنها ترسل للسر عسكر

---

١٧ [illegible] شوبجي [illegible] وهم الوجهاء [illegible]

٩ [illegible] الفرنسيس [illegible] الصليبية [illegible] والاعتداء على [illegible] وأملاكهم

٢٠ أي [illegible] الأكثر عداء لأعداء السلطان

بعض وكلا من عندها لكنهم يعرفون المشار إليه أنهم طاعون وأنهم يصنعون السنجاق الفرنساوي الذي هو أبيض وكحلي وأحمر[2]

المادة الثانية

كل قرية التي تقوم على العسكر الفرنساوي تنحرق بالنار

المادة الثالثة

كل قرية التي تطيع العسكر الفرنساوي الواجب عليها نصب السنجاق الفرنساوي وأيضا نصب سنجاق السلطان العثماني محبب، دام بقاه.

المادة الرابعة

المشايخ في كل بلد يجتمعون حالا جميع الأرزاق والبيوت والأملاك تباع للمماليك، وعليهم الاجتهاد الزائد لكيلا يضيع أدنى شيء منها.

المادة الخامسة

الواجب على المشايخ والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم وعلى كل واحد من أهالي البلد أنه يبقى في مسكنه مطمئن، وكذلك تكون الصلاة[22] قائمة في الجوامع على العادة والمصريين بأجمعهم يشكرون فضل الله سبحانه وتعالى من القرض

---

(٢) أي رفعوا العلم الفرنسي إعلانا للخضوع وعدم المقاومة

(٢٢) أي الصلاة

دولت[23] المماليك قايدين بصوت عالي: أدام الله إجلال السلطان العثماني، أدام الله إجلال العسكر الفرانساوي، لعن الله المماليك، وأصلح حال الأمة المصرية.

تحرير بمعسكر إسكندرية في ١٣ من شهر مسيدور سنة ٦ من إقامة الجمهور الفرانساوي، يعني في أواخر شهر محرم سنة ١٢١٣[24] هجرية.

---

(٢٣) أي دولة.

(٢٤) كان وصول جيش نوبارت إلى إسكندرية [illegible] في ١ محرم سنة ١٢١٣هـ الموافق أول يوليو سنة ٧٩٨م [illegible] ص ١٢٥ دراسة وتحقيق. د. محمد عمارة، طبعة بيروت سنة ١٩٨٠م. [illegible] (إعلان) إلى ملاحق [illegible] والأسطورة، ص ١٠٥ - ١٠٨)

٢ جيش الخيانة الوطنية

(وإذا كانت مصر قد عرفت الكثير من الغزوات والغزاة ... فلم تعدم أن يمزق أحد من أبنائها عن الوطنية، فيميل إلى هؤلاء الغزاة ... فإن الاحتراق الفرنسي لأبناء الطوائف غير المسلمة قد بلغ بالخيانة حدا غير مسبوق في تاريخ مصر والمصريين ... فقد تكونت للخيانة «فيالق» عسكرية ... جانب الشعب مع جيش الاحتلال ... حدث ذلك من «أراذل القبط» الذين قادهم المعلم «يعقوب حنا» ... ومن النصارى الأروام ... والنصارى الشوام الذين قادهم أمثال «ملطي» و«قرط الرمال»

وبعد صور جبرتي القلعة العسكرية المحصنة، التي أقامها «يعقوب اللعين» بقلب القاهرة، مقرا لقيادة الفيلق القبطي الذي جنده، وقاده مشاركا به في فتح مدن وقرى الصعيد ... صور جبرتي ذلك فقال ...)

ومنها (أي ومن أحداث هذه المحنة):

إن يعقوب القبطي اللعين، لما تظاهر مع الفرنساوية وقلدوه «صاري عسكر القبطة»، جمع شبان القبط وحلق لحاهم وزيهم بزي مشابه لعسكر الفرنساوية، ممتازا عنهم بقبعات يلبسونها على رؤوسهم مشابهة لشكل البرنيطة، وعليها قطعة فروة سوداء من جلد الغنم في غاية البشاعة مع ما يضاف إليها من قبح صورهم، وسواد

أجسامهم وزفارة أبدانهم وجعلهم عسكره وعروته وجمعهم من أقصى الصعيد.

وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى التي هو ساكن بها خلف الجامع الأحمر وبنى له قلعة وسوّرها بسور عظيم وأبراج وباب كبير، يحيط به بدنات عظام.

وكذلك بنى أبراجا في ظاهر الحارة، جهة بركة الأزبكية وفي جميع السور المحيط والأبراج طبقان للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر، الذي رمّه الفرنساوية.

ورتب على باب القلعة، الخارج والداخل عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلا ونهارا، وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية.

مظهر (مدبس) ص ٣٦١، ٣١٢

٣ رثاء الخيانة للاحتلال

وإذا كانت الخيانة التي أوجدتها ورعتها الحملة الفرنسية في مصر، قد مثلت الخيانة الوطنية والأمن الوطني، في صورة «القلق القبطي» الذي قاده «المعلم يعقوب حنا» والذي شارك الجيش الفرنسي تحت قيادة الجنرال «ديزيه» في فتح وهدم وإحراق مدن وقرى الصعيد، وقتل الأحرار، واغتصاب الجزائر، فإن هذه الخيانة قد تلقت «المعلم يعقوب» الذي يرى فيه المغرضون والمفرنكفونيون رثاء «الاستقلال» المصري! أحد الرثاء المتوجه للضابط الفرنسي الجنرال «ديزيه» عندما قتل بإيطاليا سنة ١٨٠٠م. فرثاه يعقوب بقصيدة من الرجل الركيك، تحدث فيها عن «بطولته وشجاعته في إخضاع وترويض لبرابرة أعداء الله والبشر، من أهل مصر»!

وهذا هو نص الرثاء الذي يستحق الرثاء ( )

إنا لله وإنا إليه راجعون

الحمد لله محرك آلات الأنس الأوانس، بأنعام التعارف الدوامس، وكاشف الغطاء الدلامس[٢]، عن الآثار الدوارس[٣]، نحمده حمداً وشكراً لائقاً بإله مبدع وخالق، بارئ المبروات والخلائق، مكوّر الأرض والسموات، بصور الأحياء والأموات، مميز

---

(١) الحقيقة والدلامس: هو الدفن والإخفاء. (٢) المقدم.

(٣) التي درست، فلم يعد لها وجود.

النفائس من الخسائس، فلا إله غيره، ولا خير إلا خيره، وهو المالك والسايس آمين.

وبعد، فهذا دعاء جليل سديد، به تنتخب وفاة[4] عزيز، الجنرال داسة[5] صاحب الأمير يعقوب، سارى عسكر القبط الجديد، فيقول:

أذرفنا على ذكر الحبيب دموعا
سكرنا بها ليوم البعث والحشر
حبيبٌ وقد ذاع صيته أبدا
بطل وقد عرف في سائر القطر
فتلألأت شجاعته وعقله ثم فطنته
وشرح احتقاره [illegible]
وقد فاز بها على المماليك إجمالا
ظافر بأرقابهم[7] نصر [illegible]
وأخضع تشامخ جماعة البربر
مروّض أخلاق أهل إقليمه[8] مصر

---

(٤) أي: وفاة
(٥) الجنرال «ديزيه»
(٦) أي: النشر
(٧) المراد: الرقاب، جمع رقبة
(٨) لا يخجل المعلم يعقوب من جعل إخضاع أهل مصر وتروّيضهم فضائل [illegible] ديزيه، ويزيد على ذلك فيصف أهل مصر بالبربر

بل وأهل تبايس[1] مثمرة ومن
كان قاطنا بالبر ثم والقفر

فاعجب بمن كان محبوبا ثم مرغوبا
حتى وممن كادهم بالحرب والقهر

دسّه فاتح بلادنا بناحية قبلي
يضرب ويشفي ولا يدنو إلى الغدر

صنديد مجاهد وخصم محارب ولكنه
طيب مداوي الجراح بالزيت والخمر

فآه على ناصري دسّه وو أسفي
على اصطحابي به لو قدر القدر

فكنت أرعب وجودي بمبدئي مرتجز
كما رفعته فلا تصعب [illegible]

فكنت أرجو وجودي لمعاونة عزي
كما صاحبته قبلا بالعز والنصر

فمرني عنه فداءً كان يغنيه
عن فقد حياة مفيدة ذكرها دهر

أموت عن من حياته دوامها نفع
ودوامها خير عام والفخر والظفر

---

[1] [illegible] لأقصى [illegible] مصر [illegible] عاصمة مصر الفرعونية
[illegible]

ولكنه وإن مـــات فـــهـــو حيّ ومـــا
و ب ذك ء مـر دهـ يبـى دهـر
ولـم يـزل بـفـكـرى مـــــخـلـدا أبـدا
حـــتى إلى خـــروج الروح من صـــدرى
ومن بقـــــه خـمـيلة مـحـتفّ أنوارا
متدثرا بالتساع[1] فضاء الجو كالقمر
فـيـصطحب مع الأقـدمين مـشـتـرك
يتـرنـم بـهـاء أشـعـة حـب الـنـصـر
ويشـــاهد عـــــانا برح حظ بوسبارته
ومن خـصـه الله من النعـظـمـات والـقـدر
ومتحاد[2] مربع وبهذا لقدر مستعرب
يرحف الـسـرور أعـــداء الله والـــشـــر
فـيـحـصل الخـيـر ونجح أهل مـشـرقـة
ويعـــود النظام ونر[3] النفع قـد صـــدر
فـيـا من قضن سدة الأحـبـــاء والقـصة
ونفسك هـذك تحـضى[4] دخـل الخـمـر

و ـــ ـــ ـــ

خُذ عليّ بلحظ العين مترأفا
وانظر إليّ بأسنى برقة البصر

فانظر إلى شعب وشقاء حياته
فغدت حياتنا لا تخلو من الكدر

لاحظ المصريين وكيف كانوا قديما
وعندما غدوا الآن للرق واليسر[15]

فكم كنت تعجب أنت من مفاخرهم
وتنابس[16] القديمة يعلق ذكرها الخبر

فمنك نرجو الشفاعة يامعضد الأول
فلا تدع مصرنا لسابق القهر

ومن بعد حكم الفرنسيس أعوامًا
فلا تسنّها لحاكم يسوس بالقسر

وإذا خُليت[17] يصلح عام منقلة
من يد ليد حاكم متعجرف ومفتر

فمنك [illegible] أجمعنا
واسمك بباريس حمانا بشائع الذكر

فبنا اعتنى لدوامنا بناحية قبلي
لننجو بحياتنا من الموت والحسر

---

(١٥) أي الأسر! (١٦) أي طيبة الأقصر
(١٧) أي خلا عنها جيش حملة الفرنسية

فتلقه بنيك[18] من كل نائبة

فإنهم بأعدائهم في أعظم الخطر

ولأن عصبهم تفاقم ضد أمتنا

وحبنا الفرنسيس قصدهم نسكن القبر

ومحبتنا للفرنسيس فلابد عنها

لأنهم أعتقونا من الأضرار والشرّ

ثم انتهى مقالي إليك يا ربي

تجزى لدسّه أعماله بالخير والأجر[19]

---

١٨ يتحدث عن النصريين باعتبارهم أبناء الجنرال «ديزيه»

١٩ [illegible]

٤ وصية يعقوب بتبعية مصر لإنجلترا

(أما وصية المعلم يعقوب إلى إنجلترا، للعمل على أن تحل محل فرنسا - بعد فشل حملة بونابرت - في إخضاع مصر لتبعيتها، والسيطرة على ثروتها، وعزلها عن هويتها الحضارية وأمتها العربية والإسلامية، واستخدام القوة الأجنبية في هذا الإخضاع ..

وهي الوصية التي رفعها إلى وزير البحرية البريطانية «لإيرل سان فنسنت»، بواسطة القبطان «أدموندس» قائد الفرقاطة «بالاس» - التي أقلت يعقوب وجنود الحملة الفرنسية من الإسكندرية إلى مرسيليا

فهذا هو نصها :)

مذكرات مرفوعة للقبطان جوزيف أدموندس لتذكيره مستقبلا بالنقاط الرئيسية لأحاديثنا السياسية على ظهر سفينته

١

إن الكتاب المرفقة به هذه المذكرات موجه إلى فخامة اللورد

---

١ أي اللورد «كنث» الرئيس المباشر للقبطان «أدموندس». وجدير بالذكر أن هذا النص هو خصيصة أفكار «يعقوب حنا»، ترجمها مرافق له على السفينة «بالاس» اسمه «لاسكاريس» وصاغه القبطان «أدموندس». ولقد رجعنا فيه إلى ملاحق كتاب المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة) ص ٢١ - ٢٧

وهو يبدو للوهلة الأولى مجرد التماس بسيط يرجوه أن يهتم بنا نحن المصريين للغاية. ولكن من الضروري في الحقيقة أن ينظر إليه على أنه ملخص للأحاديث السياسية التي دارت بيننا على ظهر السفينة.

ولما كان من عدم التبصر في الوقت الحاضر عرض خطير بشكل أكثر تفصيلا، فإن هذه المذكرات الموجزة المكتوبة على عجل يمكن أن تكون كافية لتذكيرك بأهم نقاط أحاديثنا. وعندما يحين الوقت الملائم نرفعك إياها مباشرة إلى حكومتك أو لإبلاغها لفخامة اللورد، فإن المصريين بوثوقهم في سجاياك الكريمة، يتركون حسن فطنتك أن تثير اهتمام فخامة اللورد بقضيتهم، حتى يمكن أن يكون لنا سندا، سواء بما سوف تكتبه إلى مجلس الوزراء البريطاني، أو بما سوف يقوم به عند عودته إلى إنجلترا. وإننا نؤكد أن فخامة اللورد سوف ينتصر لذلك لقضية فيها نفع لبلاده، وليس هناك ما يمكن أن يكون أسمى غاية تسعى لورد نبيل مثله.

٢ -

إذا افترضنا أن ما سوف يعرضه «الوفد المصري لدى الحكومات الأوربية» باسم المصريين الذين فوضوه، يبدو قليل الأهمية في نظر تلك الحكومات، فإنكم بإسناده الفيضان توافقوننا على الأقل على أن الدول الأوربية لن تفعل أبدا وأكرم من أن تبدد بقرار سياسي بسيط ظلمات الجهل والهمجية التي تخيم على هذه البلاد الذائعة الصيت. لقد كانت هذه البلاد مهد الاستبداد وعلومنا

وقبولها. ومجمل القول أنها كانت المركز الأول للحضارة التي نقلها عنها اليونان ومنها وصلت إلينا. وإذا كانت مصر بماضيها المزدهر العظيم لا تستطيع أن تثير في دول أوربا شعور العرفان بصنيعها وما لها من فضل، فهي تستطيع على الأقل أن تثير فيها شعور العطف عليها. فإذا ما تحقق ذلك وردوا إليها أمرها أمكنها أن ترضي كل الدول الطامعة فيها، دون أن تهدد واحدة منها في مصالحها.

٣

لن يمضي وقت طويل حتى تؤيد بريطانيا حل القضية المصرية على الأسس السالفة. وفي هذه الأثناء قد تتقدم حكومة الفرنسية نفسها باقتراح ذلك، وعندئذ ينبغي ألا تنسى حكومة الإنجليزية أن ما يقترح إنما هو نتيجة جهود الوفد المصري في باريس. ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلى أن تنظر الحكومة الإنجليزية إلى ذلك بشيء من الريبة. وإذا ما تقدمت فرنسا بمثل هذا المشروع السياسي، فإنها سوف تفعل ذلك على سبيل المجاملة، لأن مصلحتها في نجاح المشروع أقل من مصلحة بريطانيا. والذي لا شك فيه أن حكومة الجمهورية الفرنسية لا تزال راغبة في امتلاك مصر مرة أخرى.

٤

توشك الإمبراطورية العثمانية على الانهيار. ولذا فإنهم لا يجسر قبل أن تقع الواقعة أن يلتمسوا لأنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل

لهم الإفادة من ذلك الحدث عند وقوعه فيحققوا مصالحهم السياسية وإذا كان من المستحيل عليهم أن يستعمروا مصر كما استحال ذلك من قبل على فرنسا فيكفي أن تخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا صاحبة التفوق في البحار المحيطة بها ولا شك في أن استقلال مصر سوف يحقق لها رخاءها، ولكنها لن تكون إلا دولة زراعية غنية بحاصلاتها الوفيرة التي تنتجها بزيتها الخصبة وبتجارتها التي تتقرر لها مع قلب إفريقيا.

وهذه المزايا سوف تعود بالفائدة على بريطانيا التي يهمها بحكم مركزها في الهند أن تتاجر مع مصر وما حولها.

٥

لقد كان مراد بك[٢] يقول: وربما كان على حق أن كفار العرب (هكذا كان يسمي الدول الأوربية) أصبحوا يعرفون مصر معرفة تامة، وأن الكل يسعى للاستيلاء عليها، مما سيجعل منها موضوعا دائما للخلاف فيما بينهم. وقد يقال إن بريطانيا لا حاجة بها إلى الاستيلاء على مصر إذ أن لها من سيادتها البحرية ما يجعلها تستأثر بتجارة مصر الخارجية ويضمن لها بالتالي أن تكون لها ما تريد من النفوذ فيها. ولكن ماذا سيكون من أمر هذا النفوذ إذا ما عادت فرنسا من جديد حليفة الصنيعة للباب العالي، وإذا ما عمل الباب العالي من ناحيته على إرضاء فرنسا

---

٢ من أعمال المماليك في بلاد الريف [illegible] إلى الصعيد [illegible]

أكثر من بريطانيا ؟ وكيف يكون الوضع إذا ما مضت الدولة العثمانية في إجراءاتها فأغلقت مرافئها في وجه الإنجليز ؟ ثم أليس من المحتمل كذلك أن يضغط الفرنسيون على حلفائهم ليتخذوا من تدابير عدائية أكثر مع الإنجليز ، يمكن أن تقضي على تجارتهم في بلاد الشام وفي البحر الأحمر ؟

٦

إن مشاعر المصريين نحو الفرنسيين ترجع إلى أساليب هؤلاء في الحكم في أثناء احتلالهم مصر ، ولست في حاجة إلى إعادة الكلام في هذا الموضوع ، إذ أعتقد أنكم يمكن أن تستعيدوا بسهولة ما دار بيننا من حديث حوله . وعلى هذا فإن كل شيء ، بما في ذلك مشاعر المصريين تجاه الفرنسيين وما يمكن أن يشعروا به تجاه الإنجليز كلما ازدادت معرفتهم بهم ، يثبت أن مصر المستقلة لن تكون إلا موالية لبريطانيا ومن ثم فعلى بريطانيا أن تعمل على استقلال مصر أو على الأقل أن تؤيد هذا الاستقلال بعد حدوثه وذلك على ضوء ما هو متوقع من تطورات في مستقبل الأيام

٧

إذا فرضنا أن حكومات الدول الأوربية سمحت باستقلال مصر ، فكيف يحكم المصريون أنفسهم ؟ وكيف يدافعون عن استقلالهم ؟

أولا لا يسمح المجال في هذه المذكرات المحررة على عجل

بالدخول في تفصيلات مشروع الوفد المصري لحكم البلاد ويكفي الآن أن نلاحظ أن قيام حكم الاستقلال لن يكون نتيجة انقلاب مبعثه وعي أمة اضطرعت فيها مختلف الآراء الفلسفية، ولكنه سيكون نتيجة تغيير جبري تفرضه القوة القاهرة على قوم مسالمين جهلاء يكادون لا يعرفون سوى عاطفتين تحركان سلوكهم، هما المصلحة والخوف. فإذا استطاعت الحكومة الجديدة أن تسبغ على حياة الناس شيئاً من الرخاء وأن تعمل على زيادة دخولهم، وهو أمر يسير بالتعبير، فمن المؤكد أنها ستنال تأييدهم الحماس. وكيف لا يكون الأمر كذلك وأي حكومة في العالم أفضل من الاستبداد التركي. فلتكن الحكومة الجديدة إذاً عادلة وحازمة ووطنية كما كانت حكومة شيخ العرب همام في الصعيد التي رويت لك فضلها. ولا شك أنها عندئذ سوف تكون موضع الاحترام والطاعة والحب.

ثانياً: كيف يدفع المصريون عن استقلالهم؟ وهل سيكون هذا الدفاع ضد دولة أوربية؟ إن من غير المتوقع حدوث ذلك إلا بعد وقت طويل يكون قد تم في خلاله تنظيم جيش وطني قادر على رد الاعتداء. أما إذا كان الاعتداء من جانب الترك أو المماليك فنعتقد أن الدول الأوربية لن تسمح بحدوث ذلك. ومن جهة أخرى فإن المصريين يمكنهم أن يعتمدوا على قوات جيشية تعمل بحسابهم يتراوح عددها بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ جندي يكفون تماماً لصد الترك عند الصحراء وسحق المماليك داخل مصر. ويكون هذه القوات في الوقت نفسه نواة الجيش الوطني. ولما كان العثمانيون

يفعلون أي شيء من أجل المال فمن الممكن تعبئتهم بردهم عن مصر. ولقد كان المماليك يستعملون هذا السلاح كلما رأوا سحب السياسة تتبدد ضدهم في القسطنطينية.

ويسعى ألا يقولوا أن نذكر في هذا الصدد أن المصريين منقسمون إلى عدة طوائف وأن هذا الانقسام من شأنه أن يساعد على دفع هذه الطوائف بعضها ببعض من أجل حفظ التوازن بينها. وللوفد المصري صلات بهذه الطوائف جميعا دون انحياز لواحدة منها على الأخرى وهذه الصلات قائمة في الخفاء وستظل خافية تماما عن الحكومة التركية في مصر وهذه الخطة أمر لا بد منه تجاه حكم مستبد مستربص بالناس، ولن يتوانى عن البطش بالإخوة دعاة الاستقلال وتفتيتهم عن آخرهم إذا استطاع أن يكشفهم. ولقد استطاع الذين هجروا مصر من هؤلاء الإخوة مع الجيش الفرنسي أن يتخذوا طغيان الترك، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للإخوة الذين بقوا في مصر فهؤلاء يعيشون تحت السيف والعصا، ولا يملكون إلا إخفاء حقيقتهم والظهور بمظهر عبيد السلطان المخلصين.

٨

إن المصريين كافة، والوفد المصري الذي يدول الأوربية بوجه خاص، سيبذلون كل ما في وسعهم من جهد ليحرروا أنفسهم بطريقة ما من النير الذي يثقل كاهل بلادهم التعسة. ولكن إذا خاب سعيهم وجاءت اتفاقيات الصلح العام بعكس ما يرغبون، وشاء القدر أن يعود النير إلى أملاك هذه الأقاليم الخمسة الشهيرة

وتعريضها لذلك لتجدد العدوان عليها، فأقل ما يلتمسه المهاجرون المصريون من الدول المتعاقدة أن تكفل لهم من الضمانات ما يدرأ عنهم شر انتقام الترك إذا ما عادوا لوطنهم

٩

الرغم من أن الوفد المصري لا يعمل إلا من أجل تحقيق مشروع سياسي فيه نفع لجميع الحكومات بما في ذلك الحكومة التركية (وبالرغم مما يبدو من غرابة هذا القول فيمكننا البرهنة على صحته)، فقد تعرض ظروف لابد فيها من المحافظة على أسرار المفاوضات ولذلك فإننا نرفق بهذا شفرة يمكن استعمالها في مراسلاتنا إذا اقتضى الأمر ذلك

١٠

يرى الوفد المصري حرصاً منه على نجاح المفاوضات المزمعة ضرورة كتمان أمر ما فاتحناكم فيه من مقدمات لها، وكذلك ما يمكن أن تبلغوه بفخامة اللورد، عن فرنسا وعن أي طرف يستطيع عرقلتها. إن خطة الوفد أن يعمل في أوانٍ على أن تكون فرنسا هي التي تبدأ بعرض المقترحات الأولى على بريطانيا، وتكون بريطانيا عندئذ قد اقتنعت بما في مشروع الاستقلال المقترح من مزايا فتؤيده. وبهذه الطريقة فإن الوفد المصري لن يتعرض لأن ترى الحكومة الإنجليزية ترفض المشروع بمجرد علمها به بسبب العداء

التقليدي بين الأمتين الإنجليزية والفرنسية ، أو شك منها في وجود دسيسة ما من دسائس فرنسا .

١١

لكي تسهل مراسلتنا من فرنسا أو من غيرها يمكنك يا سيدي القبطان أن ترسل ما تريد إلى السنيور الكونت بطون كاسيس (فسيس) المقيم في برنستا ، وهو يقوم بتحويلها إلى حيث يقيم الوفد ، على أن يوضح ذلك بوضع اسمه على كل رسالة . أما الرسائل التي قد توجه إلينا من إنجلترا ، فإن وصولنا إلى باريس سوف يشيع أمره فتتيسر عندئذ معرفة أين نقيم ، وبهذا يمكن أن أتسلم رسائل حكومتكم بسهولة . ولكن تلزم الحيطة التامة فيما يتصل بهذه النقطة الأخيرة حتى لا يتسرب أية شكوك إلى الحكومة الفرنسية

ظهر السفينة پلاس في ٢١ سبتمبر ١٨٠١

٥ إعلان الولاء لبونابرت

[illegible] والدين وصلو
بعد وقته على صفير [illegible] «بلاس» وصلو [illegible] على
[illegible] والإمراء بفرنسا كي تعمل [illegible] وسائل عن العسكريه
على إحداق مصر بفرنسا [illegible] وتصفى [illegible] الفرنسية بمصر،
بدلا من شريعتها الإسلامية وقانونها الوضعى [illegible] فعمد كليبر إلى
بونابرت، يعلمه على «استقلال» مصر عن حضارتها الإسلامية،
ومحيطها العربى، مؤكدين له فى ذيل «الاستقلال» من مكاسب
بونابرت وفرنسا ما يعوض عن خسارة العسكرية تعويضا يفوق
النجاح العسكرى مائة مره! ..

فالمقصد الأعظم، هو أن يدير مصر ظهرها للعروبة والإسلام
والشرق، ملتحقة بأوربا!.

وفى هذا السبيل، كتب لبونابرت يقول:

**من مصر فدى يبدأ من الوقت المصرى الى يقابل الاول بونابرت من
يقابل اول بمهورية فرنسه من الوقت المصرى الذى يكمله عصر يعشر
نجوم الصحى بمصر سنة فى أول شديميير من السنه العاشرة
بمهوريه ٢٢ سبتمبر ١٨٠١ ١٨ صفر ١٢١٦**

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

في قديم الزمان، إذ تلك العصور الموغلة في القدم، عندما كانت فرنسا في حالة الفطرة تكسوها الثلوج والغابات، كانت مصر منحصرة مزدهرة يهل مشرعو الإغريق من معين علمها ومعرفتها. ثم دار الزمان دورته وشاء القدر أن يفد مصريو العصر الحاضر أحفاد رواد الحضارة في الماضي إلى فرنسا وهي تنعم بحكمك الرشيد، ليتعرفوا على نظم أمة يحبونها ويتفقهوا على ما استحدثته من وسائل لم تسبقها إليها أمة أخرى، مكتبها وهي الجمهورية الناشئة من المحافظة على مكاسبها الحربية ما سنته من نظم سياسية جديدة. وكما أن سولون (٦٤٠ - ٥٥٥) عند عودته لبلاده من مصر شرع للإغريق ما اقتبسه من النظم المصرية، فإن الوفد المصري الذي فوضه المصريون الباقون على ولائهم لنا سيشرع لمصر ما يرضاه لها من نظم عندما يعود إليها من فرنسا.

إن هذا سوف يحدث بأفخامه الفيصل الأول إذ تفضلت من أجل مجدك ومن أجل المصلحة السياسية للجمهورية الفرنسية فمددت يد المساعدة للمصريين البقاء الذين وضعت عنهم من قبل أغلالهم التي عادوا يتوءون بها من جديد وتكرمت فأحسنت استقبال وكلائهم في باريس، إنما يأمل أن يكون استقبالنا في العاصمة الفرنسية عشية اجتماع شرفي يحدد لنا ذكرى الفتح العظيم الذي أفاء الله به عليك ثم ضاع منك. ولا [illegible] الأول [illegible] الإحساس ألم ما فقدت، ولكنك إذ عملت في

---

٢ [illegible]

٣ [illegible]

[illegible]

معاهدات تصح على أن تكون مصر مستقلة فسوف تعوض خسارتك فيها مائة مرة إن هذه هي أمانينا التي أخذنا على أنفسنا عهدا بالسعي إلى تحقيقها

عن الوفد المصري

وكيله

عمر فيدي

حاشية: أعد الاكتتابية، وعضو الوفد الذي سبق أن عرفه فخامة القنصل الأول في القاهرة يرجوني أن أذكرك بأنه لن ينسى ما غمرته به من عطف حينذاك[5]

---

٤ [illegible] أحمد الصاوي [illegible] عبد العال أعد الاكتتابية [illegible] مع جيش الحملة الفرنسية، والذين خرجوا من مصر مع [illegible]

٥ [illegible] إلى كتاب (معلم [illegible] ٢٩ [illegible]

٦ اختراق إفريقيا بواسطة مصر

(كما كلف رفاعة نعمة يعقوب بك وزير خارجية محمد
علي باشا (١٨٠٥ - ١٨٣٨م) - بعرضون خدماتهم بتحرير
شمال مصر وكسب تحقيق حر و فرنسا وسعة طريقه إلى
عن طريق الكسبة لأشياء ... بعة في لندن بكسبه بقيه
وهو مشروع لاستعمار الفرنسي الذي ... سبق بوس في مطلع
عشر (١٦٣٨ - ١٧١٥م)

كلف رفاعة نعمة يعقوب بك «القنصل» بعرضون نعمة على
بعض ... هذا المشروع لاستعمار الفرنسي القديم ... في عهد
الجمهورية بعد فشل حملة بعسكريه على مصر ... فشل

من مصر قدي لي وزير خارجيه بفرنسه بالمرن

سيهبط إلى دوق الجمهورية الفرنسية عند تعيين ... مفاوض
الأسرى ... عدد الأسرى مع قرون حشر الشرق في ...
جلاؤهم عن مصر

و يؤكد مصري بالرغم من أنه ... بفرنسه خير يعقوب بك
فقد بقيه في ... مصر بعض ما شعر به من ولاء وتقدير
بالجمهورية الفرنسية و ... من عصره ... يتحدث ... بعض

... ...

[illegible] وتشملهم بكرمك وعنايتك .

لقد كان لويس الرابع عشر يعمل في الظاهر على ضم كنيسة ثونة إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ولكنه كان يسعى في الحقيقة [illegible] نحو [illegible] وسط فريقا [illegible] ومن [illegible] عدة جهود لم تقدر لها النجاح لكي [illegible] في [illegible] عدد من [illegible] الكنيسة الثونية [illegible] هو هو نفسه [illegible] الكنيسة الثونية [illegible] في [illegible] فإن الجمهورية الفرنسية [illegible] في [illegible] الأول [illegible] أن تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية المطلقة لاستبدادية

[illegible] الأمة [illegible] الذين أبانوه عنهم من شعور [illegible] في قلوبهم من أمان وما يملكون من قطنة [illegible] وترود [illegible]

الأولى هي القضاء على القوة الغشوم التي [illegible] من جديد

[illegible] هي وضع [illegible] في فرنسا [illegible] مصلحة الجمهورية الفرنسية [illegible]

وبناء على ذلك فنحن نتقدم إلى سعادة [illegible] . لقد [illegible] فرنسا في [illegible] حميمة، فلم لا نتخذ من هذا الوقت

[illegible]

وسيلة لتعويض ما خسرته؟ إنك إذا تفضلت فدعوت الوفد إلى
لقائك في باريس قبل توقيع الاتفاق التمهيدي مع بريطانيا [illegible]
تستطيع أن تؤكد لك أن فرنسا سوف تحتفظ بنفوذها السياسي في
الشرق وتحميه [illegible] طويلا نتيجة للجلاء عن مصر
[illegible] التي تخشى [illegible]
[illegible] فرنسا [illegible] أن فرنسا
إن أرادت [illegible] عن طريق الأمة المصرية التي ستكون [illegible]
مد نفوذها نحو واسط وفرنسا وهكذا يتحول تركيكم مصر للإنجليز
من [illegible]
الفرنسية في الجنوب

ولا يرى [illegible] مصري [illegible]
يستطيع في [illegible]
لا يستطيع في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الرسائل.

[illegible]
[illegible]
[illegible]

(٣) كان هناك مسلمون [illegible]
[illegible]
غير مسلمين!

الأزياء الشرقية قد تذكر فخامة القنصل الأول بفتوحه السابقة ورضي حب الاستطلاع بأي من لم يتبعوه للشرق.

إن توقد المصري يعلم تماماً أن وقت القنصل الأول، الذي بدأ بتسلمه شئون الحكم حتى في أدق جزئياتها، وتنعم [illegible] الرسائل الخاصة. ولكننا نرجوه أن يقدر أن [illegible] خاصة، وأنه يصل إلى فرنسا في ظروف معينة، وأن [illegible] أهميته، فينفصل بتسلمه ويمعن النظر فيه بحكمته العميقة[5].

[illegible] إلى الوثيقة السابقة - مرفوعة من هذا «الوفد» إلى [illegible]

[illegible] حملة على مصر - وتقدم بمشروع استعمار مصر إلى حكومة [illegible] كانت مصر من مستعمراتها - فقال: «كانت مصر مقاطعة في الجمهورية الرومانية، فيجب أن تصبح للجمهورية الفرنسية».

٧ واختراق منظومة القيم

(ولم تقف محنة هذه الحملة عند احتلال الأرض .. ونهب الثروة وزرع الخيانة واختراق سياج الأمن الوطني والقومي والحضاري وإنما أحدثت خرقاً واختراقاً في منظومة القيم الإسلامية والعربية والشرقية وذلك عندما أضفت أفكار وممارسات الفرنسيين المشروعية والغلبة على المحرمات والانحرافات

وإذا كان الاختراق على هذه الجبهة يستحق دراسة طويلة ومعمقة فإن هذا المقام يكفي فيه هذه السطور التي كتبها شاهد العصر وحجته وأعظم مؤرخيه فلقد كتب الجبرتي عن هذا الاختراق لمنظومة القيم الإسلامية والشرقية فقال

« .. ومنها تبرج النساء وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء

وهو أنه لما حضر الفرنسيس إلى مصر، ومع البعض منهم نساؤهم، كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه، لابسات القمصان والمناديل الحرير الملونة، ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميري والمزركشات المصنوعة، ويركبن الجنون والحمير ويسفلها سوقاً عنيفاً، مع الصخب والقهقهة ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة

فمالت إليهم نفوس كل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش فتداخلن مع الفرنسيس لخضوعها للنساء وبذل الأموال لهن وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وحشية عار ومبالغة في حفاية

فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر (أي ثورة القاهرة) وحاربت الفرنسيس بولاق، وفتكوا في أهلها، وغنموا أموالها، وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات، ضرب ماسورات عندهم فرسوهن برى ثيابهم وأجروهن على طريقتهن في كامل الأحوال فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية، وتداخل مع أولئك الماسورات غيرهن من النساء الفواجر، حتى كثرت الفواحش من النساء مع ما حل بالمسلمين من الذل والهوان وسلب الأموال، واجتماع خيرات البلد في جور الفرنسيس وشدة رغبتهم في النساء وخضوعهم لهن وموافقة مرادهن وعدم مخالفة هواهن، ولو شتمنه وضربنه بالسوء منها على قفاه، ولو كانت هي في غاية القبح فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار، واستسلمن نظرائهن، واحتبسن عقولهن لميل النفوس إلى الشهوات، وخضوعا لعقول القاصرات.

وخطب الكثير منهن بنات الأعيان وتزوجوهن رغبة في سلطانهن ونوالهن فتظهر حالة العقد الإسلام، وينطق بالشهادتين لأنه ليس له عقيدة تخشى فسادها.

وصار مع حكام الأخطاط منهم النساء المسلمات مرتبات بزيهم ومشوا معهن في الأخطاط للنظر في أمور الرعية والأحكام العادية والأمر والنهي والمناداة ويمشي المرأة بنفسها ومعها بعض ترابها وأصنافها على مثل شكلها، وأمامها القوانية والخدم وبأيديهم

---

(١) نوع من النعال.
(٢) مفردها: خطة: المربع السكني، وتجيء في القاهرة.
(٣) مفردها: قوس: وهو حامل القوس.

بعضهن يفرحون[4] لهن الناس، ويوسعون من أجل مرورهن الطرقات مثل ما يمر الحاكم ويأمرن وينهين في الأحكام.

وما وفي الليل، ودخل الماء في الخليج، وخرب فيه السفن، وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهن لهن في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل في القوانين والسموع الموقدة وعليهن الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة، وصحبتهم آلات الطرب وخدمة السفن يكثرون من الهزل والمجون، ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المقاديف بتخالف موضوعاتهم وكثافة مطبوعاتهم، وخصوصا إذا دبت الحشيشة في رؤوسهم وتحكمت في عقولهم فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية في غنائهم وتقليد كلامهم شيء كثير.

وأما الجواري السود فإنهن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى ذهبن إليهم فواجا فرادى وأزواجا فتطلن الحيطان وتسلقن إليهم من الطبقات ودلوهم على مخابئ أسيادهن وخبايا أموالهم ومتاعهم وغير ذلك...[5] .. إلخ .. إلخ .. إلخ .

---

4 [illegible]

5 [illegible]

والآن...

وبعد هذه النماذج من وثائق التضليل والإفتاء والخيانة والاحتراق للأمن الوطني والقومي والحضاري التي صنعها بونابرت وحملته على مصر، سيدهش القارئ لأمن هذه الأكاذيب والخيانات والاحتراقات المثيرة للدهشة، وربما من عظمة الإسلام وسماحة مصر الإسلامية في مواجهة هذا الذي اقترفه هذا النفر من أبناء مصر بإغراء ورعاية وتشجيع من الفرنسيين.

فلقد تسامت مصر على كل هذه الجراح، وسعت إلى طي صفحاتها الكالحة السوداء، وجاهدت لتضميد جراح الوحدة الوطنية بين أبنائها، فعممت النداءات للشعب والأهالي في مختلف الأقاليم والمدن والقرى لنسيان هذا الذي حدث، والحذر من الانتقام ومعاملة الأقباط بالسماحة والحسنى بل والتماس الأعذار لهذا الذي صنعه هذا الفريق من «أراذل القبط».

بل إن الدهشة لتبلغ الذروة إذا علمنا ما بذلته مصر، بأن استعدادا جنود الحملة الفرنسية للإبحار، لإقناع حتى المعلم يعقوب بالبقاء في مصر عارضة عليه التجاوز عما اقترفت يداه طوال سنوات الاحتلال.

نعم، لقد صنعت مصر الإسلامية ذلك، ولم تنصب المشانق لقيادات الخيانة الذين نصبوا المشانق وحرقوا وأغرقوا العلماء والقادة والمواطنين والمواطنات، وعن هذه السماحة نتحدث الجبرتي فنقول:

لقد نُودي بأن لا أحد يتعرض بالأذية للنصراني ولا يهودي سواء كان قبطياً أو رومياً أو شامياً، فإنهم من رعايا السلطان والماضي لا يُعاد.

وكُتبت فرمانات وأُرسلت إلى بلاد الشرقية والمنوفية والغربية، مضمونها الكف عن أذية النصارى واليهود وأهل الذمة وعدم التعرض لهم وفي ضمنها أي الفرمانات آيات قرآنية وأحاديث نبوية والاعتذار عنهم بأن الحامل لهم على تداخلهم مع القريب وله صيانة أعراضهم وأموالهم.

كما قُرئت فرمانات صحبة عثمان كتخدا نائب الوالي العثماني وفيها النبوية بذكر أعيان الكنيسة الأقباط والوصية لهم مثل جرجس الجوهري، وواصف وملطي وهم الذين شاركوا مع يعقوب حنا في قيادة الفيلق العسكرية لحساب الحملة الفرنسية.

نعم لقد سلمت مصر جراحها وسعت إلى تجاوز المحنة التي صنعها بونابرت وحملته الاستعمارية، محنة الإبادة التي قتلت ... الشعب المصري في ثلاث سنوات، وأحدثت خطراً لا يزال قائماً على جبهات الوحدة الوطنية والأمن القومي والحياة الفكرية ومنظومة القيم والمثل والأخلاق..

* * *

---

(١) (عجائب الآثار) جـ ٥ ص ٢٩٢، ٢٩٩ : ٣

فهل يثوب [illegible] الذين يتكاون هذه الخراج [illegible] بهذه المحنة [illegible] يتوبون إلى رشدهم [illegible] معاركها الحقيقية والكبرى والملحة؟

إن فطرة الوطنية تنادي بهم للاحتفال بالاستقلال [illegible] والفرح بانتصارات [illegible] مع الاعتبار من هزائمها [illegible] لديهم الفطرة [illegible] على هذا الشذوذ الغريب؟

نأمل.. ونرجو ذلك

﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ [illegible]

---

٢ [illegible]

صدر من سلسلة (في التنوير الإسلامي)

١	التجديد الإسلامي في عالم متغير	محمد عمارة
٢	الإسلام والعروبة	د. محمد عمارة
٣	الإسلام والحداثة	د. محمد عمارة
٤	الإسلام في قفص الاتهام	سيد سابق
٥	الإسلام والعقل	محمد عمارة
٦	الإسلام والأمن القومي	محمد عمارة
٧	تفسير العالم	د. زكي نجيب محمود
٨	الصحوة الإسلامية والتحديات	د. محمد عمارة
٩	صراع القيم بين الغرب والإسلام	د. محمد عمارة
١٠	د. يوسف القرضاوي - المدرسة المتكررة والمشروع الفكري	د. محمد عمارة
١١	الإسلام في العصر الحديث - الكتاب الأول	د. سيد دسوقي
١٢	محمد في مصر في دين الله	د. محمد عمارة
١٣	الحركات الإسلامية رؤية تجديدية	د. محمد عمارة
١٤	نهج الغزالي	د. محمد عمارة
١٥	المنهج الثقافي	د. محمد عمارة
١٦	منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق	د. صلاح الصاوي
١٧	تجديد الدين بتجديد التدين	د. محمد عمارة
١٨	الشباب والمعوقات في النهضة الإسلامية الحديثة	د. محمد عمارة
١٩	الإسلام وأصول الحكم	محمد عمارة
٢٠	الإسلام والاتجاه الغربي	د. محمد عمارة
٢١	فكر حركة الإصلاح وقضاياه	د. عبد الودود محمود
٢٢	حرية التفكير في الغرب من سقراط إلى وحدة حرية	د. شوقي عبد العظيم
٢٣	الإسلامية التنوير الحديث والمستقبل	د. محمد عمارة
٢٤	الحضارة العالمية بين الواقع والمشروع	د. محمد عمارة
٢٥	الصحوة الإسلامية بالتاريخ ؟ أم التاريخ بالإسلام ؟	د. عادل حسين
٢٦	حقيقة الفريضة في مصر	د. محمد عمارة
٢٧	الإسلام في عيون غربية - ست شهادات منصفة	ترجمة نبيل عبد
٢٨	الأقباط في العصور الإسلامية مع وثائق وخطط	د. محمد عمارة
٢٩	مصر في عيون وقلوب أدباء	د. صلاح عيسى
٣٠	الإسلام في عيون وقلوب أدباء	د. صلاح الدين المنجد

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
تمهيـد	٣
قمة الشذوذ	٦
حملة نابليون على مصر	١٣
خلق المشروع الصهيونى	٢٢
خلق المارونية السياسية والتغريب الثقافى	٢٥
وعلى الجبهة المغربية أيضا	٣٠
وخرافة المطبعة .. والمجمع العلمى	٣٤
أوراق ووثائق الاختراق	٣٧
١- إعلان بونابرت إلى المصريين	٣٨
٢- جيش الخيانة الوطنية	٤٧
٣- رثاء الخيانة للاحتلال	٤٩

٤- وصية يعقوب بتبعية مصر لانجلترا ٥٥
٥- إعلان الولاء لبونابرت ٦٤
٦- اختراق إفريقيا بواسطة مصر ٦٧
٧- واختراق منظومة القيم ٧١
والآن ٧٤

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
تأسست أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د . محمد عمارة
- المستشار طارق البشري
- د . حسن الشافعي
- د . محمد سليم العوا
- أ . فهمي هويدي
- د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقي
- د . كمال الدين إمام
- د . عبد الوهاب المسيري
- د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين
- د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر